بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي بركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير ۞ وءاتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبني إسرءيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ۞ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ۞ وقضينا الى بني إسرءيل في الكتب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۞ فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعدا مفعولا ۞ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا ۞ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ۞ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيرا ۞
صدق الله العظيم



Islam and Palestine

نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

العدد الحادي والعشرون — ٢ جمادى الثانية ١٤١٠هـ — ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

تحولات تاريخية في التوازنات العالمية

تعيش أوروبا ونصف الكرة الشمالية منذ بداية هذا العام ١٩٨٩ متغيرات جذرية متسارعة تكاد أن تضع نهاية لعالم ما بعد الحرب الثانية كما عرفناه.. فبعد أن قطع غورباتشوف مسافة واسعة في طريق تغيير البنى السياسية والاقتصادية في الاتحاد السوفياتي، مقترباً أكثر فأكثر من المنظومة الرأسمالية، أطلق الكرملين يد دول أوروبا الشرقية الدائرة في الفلك السوفياتي لاختيار النظام الذي تراه. فانهارت قبضة الحزب الشيوعي البولندي على البلاد التي تحكمها الآن حكومة غير شيوعية، وانهار الحزب الشيوعي ذاته في هنغاريا، ثم جاء دور ألمانيا الشرقية التي لم تطح فقط بقيادتها الشيوعية التقليدية، بل أطاحت أيضاً في مهرجان جماهيري صاخب بحائط برلين، أهم رموز ميراث الحرب الباردة.

ان ذلك لا يعني أن حلف وارسو في طريقه الى الزوال، فذلك قد يتطلب عدة سنوات أخرى، وسيعتمد الى حد كبير على إستجابة دول الناتو للمتغيرات الكبرى في شرق ووسط أوروبا. هذا، اضافة للقلق السوفياتي التاريخي تجاه أمن حدوده البرية الاوروبية التي أخترقت ثلاث مرات منذ نابليون حتى هتلر. وما يقابله من قلق أوروبي غربي تجاه احتمالات بروز ألمانيا ـ ان توحدت ـ كقوة اقتصادية وعسكرية كبرى، أو خروجها من الناتو كثمن لتوحيدها، والقلق تجاه مستقبل أوروبا كله بعد أن تفتح القارة على بعضها البعض، وما يصاحب ذلك من تبعات اقتصادية وسكانية وحدودية.

منذ بروز الدولة القومية في أوروبا، وانطلاق مشروعها الاستعماري خارج حدودها، وهناك تلازم بين الصراع على أوروبا والصراع على المستعمرات خارجها. فسعي كل قوة أوروبية لتوسيع امبراطوريتها الاستعمارية كان ينعكس حرباً داخل أوروبا ذاتها مع القوى الاخرى، كما أن ميزان القوى داخل أوروبا كان ينعكس تلقائياً على المناطق المستعمرة أو تلك المرشحة للاستعمار. وفي اتفاقيتي «سايكس ـ بيكو» عقب الحرب الاولى و«يالطا» في نهاية الحرب الثانية مثالان واضحان على ذلك التلازم.

وبعد الاهوال البشعة للحربين الاولى والثانية، استطاع النظام الغربي الوصول الى عدة صيغ للحفاظ على السلام داخل اوروبا، بما في ذلك تشكيل حلفي الناتو ووارسو، واستخدام أداة توازن الرعب النووي لمنع اندلاع الحروب والحفاظ على بنود يالطا كما توصل لها زعماء الحلفاء في نهاية الحرب. وكان من أهم أدوات الحفاظ على السلام الاوروبي كذلك ان انتقل الصراع والتنافس بين الكتلتين الى مناطق النفوذ في العالم الثالث. فخاض الاميركان والسوفيات (وأحيانا البريطانيون والفرنسيون) صراعاتهم بالوكالة، بأيدي الشعوب الأخرى وعلى أراضيها.

ان تسارع الاحداث والتطورات في وسط وشرق أوروبا يوحي بأن بنود يالطا لم تعد مقدسة، وان توازن الرعب النووي لم يعد على نفس مرتبته السابقة من الضرورة والحيوية، وأن «الناتو» و«وارسو» يدخلان بداية النهاية، مهما أخذت هذه النهاية من سنوات.

لقد عادت أوروبا بقومياتها التي لا عدد لها على هذه البقعة الصغيرة من الارض الى حضن ذاتها، ولا شيء، لا الحكمة ولا البصيرة ولا تذكر أهوال الماضي، سيمنع بروز المشاكل الاوروبية التاريخية من جديد. وخلف الفرح والمهرجان الغربي ـ الرأسمالي بالانتصار، ينحو همّ وقلق عظيمان تجاه احتمالات المستقبل. ومنذ اليوم والى عدة سنوات ـ بل عقود ـ قادمة ستكون أوروبا في المسألة ذات الاولوية والأهمية القصوى على جدول اعمال موسكو وواشنطن وكل العواصم الاوروبية الهامة الاخرى. وسيضعف بلا شك الاهتمام بمشاكل العالم الثالث والشرق الاوسط بشكل خاص. وان وضعنا التعقيدات التاريخية والسياسية والعقائدية للمشكلة الفلسطينية في الاعتبار لادركنا الحد الذي ستحاول فيه العواصم العالمية الابتعاد عن الخوض في القضية الفلسطينية. ان استراتيجية استخدام التصعيد الاقليمي المحدود لجلب الانتباه الدولي وانجاز التسوية، التي اتبعها السادات في حرب أكتوبر (تشرين الاول) وتحاولها منظمة التحرير اليوم فيما يتعلق بالانتفاضة، لا تصطدم فقط بعجز توازن القوى الاقليمي عن فرض تسوية شبه عادلة وشبه مقبولة فقط، بل تصطدم ايضا بالتحولات التاريخية الكبرى في أوروبا ما بعد الحرب الاولى.

في فلسطين اليوم، يعود التاريخ ليتقدم على السياسة، ويعود الصراع على قواعده التاريخية والعقائدية. وعلى شعبنا وقواه السياسية أن تعد العدة لمواصلة النضال والجهاد الى النهاية.

في هذا العدد

الوطن المحتل / العدو يواصل حربه الاقتصادية ضد شعبنا

فيما توشك الانتفاضة العملاقة على أن تنهي عامها الثاني يواصل قادة العدو نطح رؤوسهم فيها فتدميهم جميعاً دون بارقة أمل لهم في أن تتوقف لحظة أو تخبو لها نار.

لقد استنفذ العدو أو كاد كل وسائل القمع والارهاب من قتل واعتقال وتشريد وابعاد وهدم للمنازل وترويع للنساء والأطفال حيث لم يبق أمامه الا ما لجأ اليه مؤخراً من إحكام القبضة من ممارسة القمع الاقتصادي الذي لم يتوقف أصلا طوال سنين الاحتلال. فبعد أن فرضت سلطات العدو سيطرتها الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزة باحتلالهما عام ١٩٦٧ انتهجت على الصعيد الاقتصادي سياسة عامة استهدفت تدمير بنية الاقتصاد الفلسطيني وجعله اقتصاداً تابعاً لاقتصاد الكيان الاسرائيلي.

وتحقيقاً لهذا الهدف اتخذت جملة من السياسات والاجراءات التقييدية التي استهدفت محاصرة وتطويق كافة القطاعات والأنشطة الاقتصادية الفلسطينية واخضاع أدائها لخدمة مصالح الكيان الصهيوني وسياساته.

وكانت أهم هذه السياسات والاجراءات مصادرة الأراضي حيث بلغت نسبة ما استولت عليه هذه السلطات ٥٢٪ من أراضي الضفة الغربية و٤٢٪ من أراضي قطاع غزة. ثم السيطرة على مصادر المياه وسرقتها حيث بلغ عدد الآبار الارتوازية التي نهبتها السلطات الاسرائيلية ٦٦ بئراً تنتج حوالي ٧٨٪ من إجمالي مياه الآبار الارتوازية من الاراضي الفلسطينية المحتلة. هذا بالاضافة الى أن ٧٠٪ من مياه الضفة الغربية يستخدمها الاسرائيليون الذين لا يتجاوز عددهم ثمانية آلاف مستوطن فيما النسبة الباقية تذهب لسكان الضفة الفلسطينيين الذين يقترب عددهم من المليون. كما لجأت هذه السلطات الى تفريغ الاقتصاد الفلسطيني من عنصر الانتاج الرئيس الممثل في القوى العاملة عن طريق تشجيعها الهجرة الى خارج الوطن المحتل ثم استيعاب العمالة الفلسطينية الرخيصة للعمل في الاقتصاد الصهيوني والذي بلغ حجمها إبان اندلاع الانتفاضة حوالي ١١٠ ألف عامل مسجل اضافة الى ٤٠ ألف عامل غير مسجل. ويعمل هؤلاء العمال في أسوأ الظروف حيث لا يزيد أجر العامل منهم عن ٤٠٪ من أجر مثيله اليهودي. وهم محرومون من التأمينات والقروض والمنح التي تمنحها الهستدروت «نقابة العمال الاسرائيلية» للعمال اليهود رغم أن هذه الأخيرة قد جمعت من العمال العرب ما قيمته ٢٠ مليار دولار منذ بداية الاحتلال حتى نهاية العام ١٩٨٨ كما كشفت عن ذلك النقابة الوطنية للاميركيين العرب أمام اللجنة الحكومية الأميركية للتحقيق في الممارسات الاسرائيلية. هذا اضافة الى العديد من الاجراءات والسياسات التي لا مجال لحصرها هنا ولكن نذكر منها منع السلطات الاسرائيلية قيام أية صناعات أساسية في الوطن المحتل (كالاسمنت والمعلبات والاسماك) ومنع زراعة أشجار ومحاصيل معينة ثم فرض الكثير من القيود على تسويق المنتجات الفلسطينية محلياً وخارجياً مقابل إغراق الاسواق الفلسطينية بالمنتجات الاسرائيلية المنافسة.

وتبقى السياسة الضريبية أحد أخطر السياسات التي تنتهجها السلطات الاسرائيلية في حربها ضد الاقتصاد الفلسطيني لاحكام السيطرة على موارده وتقييد أنشطته وسلب عوائده. وتفرض سلطات الاحتلال على مواطني الارض المحتلة حوالي ١٤ نوعاً من الضرائب لم يكن معظمها سائداً قبل عام ١٩٦٧، كضريبة القيمة المضافة وضريبة السفر وضريبة الانتاج والعديد من الرسوم المفروضة على كثير من المعاملات.

ورغم عدم توفر الاحصائيات الرسمية «الاسرائيلية» التي تفيد مقدار حصيلة هذه الضريبة الا أن مصادر أكاديمية متخصصة أوضحت في المؤتمر الدولي الذي عقدته مؤسسة القانون المسماة «الحق» في القدس بتاريخ ٢٢-٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨ حول موضوع إدارة المناطق المحتلة، أن مجموع ما تحصله «اسرائيل» من ضرائب من الاراضي المحتلة سنوياً قد قدر في عام ١٩٨٦ بمقدار ٨٨٨ مليون دولار. تبلغ حصيلة ما يسمى بضريبة القيمة المضافة وحدها منها ١٣١ مليون دولار.

والجدير بالذكر أن هذه المبالغ يتم امتصاصها من الاقتصاد الفلسطيني دون تقديم أية خدمات تذكر الى هذا الاقتصاد. فحسب أرقام الميزانية الاسرائيلية لعام ١٩٨٦ بلغ اجمالي ميزانية الحكم العسكري لذلك العام «وهو نفسه العام المقدر فيه الضريبة أعلاه» حوالي ١٤٣ مليون دولار، أي أن هناك ما يقرب من ثلاثة أرباع مليار (٧٤٥ مليون) دولار سنوياً ينزفها الشعب الفلسطيني تارة عرقاً لتمويل خزينة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ثم تارة أخرى دماً وهو يقتل بسلاح هذه المؤسسة أثناء انتفاضته العملاقة. وحيث يدرك شعبنا هذه المأساة ويعيشها فقد كان من الطبيعي أن يواكب انتفاضته المباركة امتناعه عن دفع العديد من الضرائب متحملا لكل ما يمكن أن يتعرض له من عقاب ومضحياً بالعديد من المطالب الحياتية حيث ربطت سلطات الاحتلال اتمام أية معاملة رسمية بضرورة تسديد صاحب المعاملة للضرائب. فتجديد رخص السيارات، والحصول على رخص قيادتها والحصول على تصريح للسفر للخارج، وتسجيل مولود في الهوية، والحصول على شهادة ميلاد وغيرها من المعاملات لا يمكن أن تتم الا بتسديد كافة الضرائب والرسوم المفروضة على الشخص.

وفي خطوة رائدة من نوعها أقدمت جماهير الانتفاضة الفلسطينية في العديد من المدن والقرى والمخيمات في الوطن المحتل على الامتناع عن دفع الضرائب حيث كان أبرز هذه الحالات هو موقف مدينة بيت ساحور الباسلة.

وفي محاولة للرد على هذه الخطوة حاول جنرالات العدو استعراض ما تبقى من عضلاتهم فهدد وزير حربها بتلقين الجماهير التي ترحف

بخطوتها هذه نحو العصيان المدني درساً فردت له الصاع صاعين وخاضت معارك صمودها الدامية ضد النازيين الجدد الذين أعملوا في البيوت النهب والسلب. مجلة «واشنطن ريبورت لشؤون الشرق الاوسط» تورد في عددها الصادر في تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٩ وقائع حية وأمثلة للقرصنة التي يقوم بها جنود الدولة العبرية، في مناطق قرى الضفة الغربية كقرية العيسوية وقرية حمزة وغيرهما. وتتحدث المجلة عن وقائع مداهمات قوات الاحتلال ليلا لبيوت بعض التجار وصغار الحرفيين وقيامها بالاعتداء عليهم وعلى أسرهم بالضرب ونهب محتويات بيوتهم وممتلكاتهم بحجة امتناعهم عن تسديد الضرائب المفروضة عليهم. وتطول عمليات النهب حليّ النساء وكل ما احتوته البيوت من نقود ومن أثاث وأجهزة كهربائية ومعدات منزلية نزولا الى الفراش والملابس وما دون ذلك! ومن بيت ساحور وحدها قدرت الممتلكات المنهوبة بحوالي ٣-٥ ملايين دولار تعتزم السلطات الاسرائيلية عرضها في المزاد العلني لبيعها لصالح وزارة الحرب.

واذا كانت سلطات العدو تستعد لجولات جديدة توسع فيها عمليات السلب والنهب فان على جماهيرنا أن تواصل استعدادها للمواجهة وأن تجتهد في تدبير مستلزمات صمودها من لحمها ودمها كما اعتادت دوما دون أن تلقى أي دعم أو عون حقيقي ممن يفترض فيهم أن يقدموه. مجلة «فلسطين الثورة» المجلة الرسمية الناطقة باسم م.ت.ف. تعجب في عددها الصادر بتاريخ ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ كيف أن العدو لا يقدم للجماهير مستندات بالاموال والممتلكات المنهوبة حتى تستعيدها عند تسديدها للضرائب كما هو الحال في كل انحاء العالم! فهل أعطى اليهود شعبنا أي مستندات عندما نهبوا وطنه فلسطين بأسرها وأمعنوا فيه تقتيلا وتشريداً.

لبنان / انتخاب رئيس الجمهورية في الميزان السياسي

بعد تأخر دام ١٣ شهراً تم انتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية هو النائب رينيه معوض وسط ترحيب دولي وعربي واقليمي ومعارضة قائد الجيش العماد ميشال عون. وعلى الرغم من أن الخطوة ايجابية الا انها لا تزال بحاجة الى بعض الوقت لمعرفة الخطوات التي ستعقبها خصوصاً بعد أن أدت عقدة عون الى اشعال المزيد من حماس أبناء المنطقة الشرقية من بيروت والذي وصل حماسهم الى حد اقتحام مقر البطريركية المارونية وتوجيه الاهانات ضد بطرك الموارنة نفسه وهو عمل يحدث للمرة الاولى على يد لبناء الطائفة المارونية ضد زعيمهم الروحي.

ويعكس الاحتجاج الماروني الشعبي نسبة ذلك الاحتقان الذي أصاب الطائفة أثر إنفضاض لقاءات مدينة الطائف عن اتفاق يوحي باجراء انتخابات وتعديل صلاحيات رئيس الجمهورية الماروني واعطاء بعض الامتيازات الامنية للوجود العسكري السوري في لبنان.

وقد جاء هذا الاتفاق الذي رعته ثلاث دول عربية في المملكة العربية السعودية في أعقاب «حرب تحرير» أعلنها العماد عون ضد سورية مما أدى الى رفع درجة حرارة الاذاعة اللبنانية وغلب التناقض مع دمشق على مختلف التناقضات الاخرى، بما في ذلك التناقض مع العدو وتحرير الجنوب اللبناني من الاحتلال الاسرائيلي وجعل «برنامج الاصلاح» في مرتبة ثانوية قياساً لموضوع الخلاف مع دمشق.

وشكل موقف عون أول تحد جدي للوجود السوري الى درجة اعتبر البعض أن هناك ايحاءً لعون بطرح مثل هذا البرنامج الذي يتناقض مع معظم الفعاليات الاسلامية وطروحاتها السياسية. ولكن الاحداث بيّنت أن موقف عون كان متسرعاً بل أنه مجرد تحرك انفعالي غير محسوب لم يأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية والذاتية للأزمة اللبنانية ولم يقدر بشكل دقيق حجم الموقع السوري ودور دمشق الاقليمي في لبنان والمنطقة. كما أنه لم يستوعب حقيقة الرياح الدولية ومجرى التهدئة الذي كانت تيسر اليه.

كل هذه العوامل ساهمت في سقوط برنامج عون المتطرف والداعي للتصعيد العسكري واستخدام العنف. وأدى استمرار عون في عناده ومقارعته للجميع الى انعزاله من مختلف القوى حتى تلك التي راهن عليها في بداية مغامرة «حرب التحرير». ولم يجد عون معه في نهاية الطريق سوى قلة ضالة لا خيار أمامها سوى مواصلة الانتحار.

ولا شك أن استمرار عون في عناده سيزيد من صعوبة حل العقدة الا انه كما يبدو أن القرار الدولي والعربي والاقليمي في خفض التوتر في لبنان والتوصل الى تسوية، أو تهدئة مؤقتة، سيزيل العقد على الرغم من تخوف البعض من حصول نوع من «التقسيم» الواقعي في ظل منع استخدام الخيار العسكري.

ولكن كما يلاحظ من التطورات التي أعقبت انتخاب معوض ان الرياح الدولية تتجه نحو وضع حد لعودة العنف واستئناف الاشتباكات العسكرية، كما أن مجرد حصول الانتخاب يعني أن الرغبة الدولية قد توافقت على هذا الحل بانتظار ما ستحمله التطورات اللاحقة. والمعروف عادة في الانتخابات الرئاسية اللبنانية أن الرئيس لا يختاره مجلس النواب بل هو محصلة توافق دولي وعربي واقليمي، ودور المجلس النيابي هو مجرد التصويت على هذا الاختيار أو هذه الرغبة. وكما يقال أن الكواليس الديبلوماسية تعيّن الاسم المرشح ومجلس النواب يصوّت. أي أن الاختيار يتم خارج المجلس ودور المجلس هو الموافقة.

ومن خلال النظرة الى هذا الواقع نجد أن انتخاب معوض هو تتمة طبيعية لوفاق تم من خارج المجلس. وهو الامر الذي سيجعل معارضة عون بالغة الصعوبة.

إذن انتخاب الرئيس الجديد هو نهاية مرحلة وبداية مرحلة. وأبرز معالم المرحلة الجديدة يمكن تحديدها بالنقاط التالية: أولا، تأكيد

الاعتراف الدولي بدور سورية في لبنان وموقعها الاقليمي في المنطقة.

ثانياً، إعلان معوض في خطاب قسم اليمين أمام مجلس النواب أن قفل مشكلة الجنوب وتحرير الاراضي اللبنانية من الاحتلال الاسرائيلي هو مقدمة لا بد منها لانهاء الازمة اللبنانية وخروج كل القوات الاجنبية من لبنان.

ثالثاً، إعلان الرئيس الاميركي جورج بوش أن واشنطن ترفض تقسيم لبنان وأن الادارة الاميركية هي مع شعار انسحاب كل القوات الاجنبية من لبنان، وهذه اشارة صريحة ضد الوجود الاسرائيلي في الجنوب.

كل هذه المعطيات تشير الى رغبة دولية في عقد هدنة في لبنان، كما أن هذه المعطيات تأتي في سياق جديد من الاولويات السياسية حيث أن عواصم الغرب بدأت تضغط على «اسرائيل» بصفتها الطرف الذي يعطل الحل والنقطة التي تتجمع حولها مختلف العقد المحلية والاقليمية الاخرى.

واعادة تركيز الضغط على «اسرائيل» ومطالبتها بالانسحاب من الجنوب يضع المنطقة ولبنان أمام واحد من خيارين: أما اقدام دولة العدو على خوض مغامرة عسكرية لقلب الطاولة وتصدير أزمتها والتغطية على أخبار الانتفاضة، وأما القبول بالانسحاب في سياق تسوية محدودة تعطل فتيل الانفجار في لبنان وتضع مختلف أطراف المنطقة على طاولة مفاوضات سياسية طويلة وشاقة.

[كتبت المقالة قبل إغتيال رئيس الجمهورية السابق رينية معوض]

م.ت.ف / أبو مازن يواصل الدفاع عن سياسة الاتصال مع العدو

في كتيب صدر مؤخراً عن وكالة الانباء الفلسطينية «وفا» تحت عنوان «هذه الاتصالات.. لماذا؟»، واصل السيد محمود عباس (ابو مازن) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وعضو اللجنة التنفيذية ل«م.ت.ف.» دفاعه عن سياسة الاتصالات الفلسطينية بالقوى السياسية الصهيونية في دولة الاحتلال. وقال أبو مازن الذي كان على رأس التيار الذي أطلق في الساحة الفلسطينية منذ السبعينات فكرة وسياسة الاتصالات بقوى الكيان الصهيوني: «إن اقرار المبادرة الفلسطينية والبدء بهجوم السلام الفلسطيني شكلا حافزاً كبيراً لانصار السلام في اسرائيل باستعدادهم الدائم للقاء م.ت.ف.».

ولكن أبو مازن لم يذكر لقرائه حجم ما يسمى ب«أنصار السلام» في المجتمع الصهيوني، كما لم يشر الى إستطلاعات الرأي العديدة التي أكدت أن الانتفاضة دفعت بالرأي العام الاسرائيلي أكثر نحو التشدد في التعامل مع الحق الفلسطيني، كما لم يستطع أن يقدم تفسيراً معقولا للصمت الكاسح في المجتمع الاسرائيلي تجاه سياسة قتل الاطفال والنساء والعقاب الجماعي ومطاردة الفلسطينيين في تعليمهم وأرزاقهم في الضفة والقطاع.

وفي تغييب كامل لأسس دراسة المجتمعات الحديثة التي تعتبر ظاهرة التعدد السياسي وافتراق وجهات النظر في الرأي العام فيها أمراً طبيعيا، قال أبو مازن أن السببين الرئيسين اللذين دفعا القيادة الفلسطينية الى بدء هذه الاتصالات والتخطيط لتطويرهما هما: «١ - أن المجتمع الاسرائيلي ليس كتلة متراصة متماسكة لا يمكن النفاذ منها، وانما أثبتت الدراسات والاحصاءات وجود نحو تسعين قومية يتألف منها المجتمع الاسرائيلي بأكثر من مئة لغة. ٢ - أن سياسة الاحزاب الاسرائيلية لم تكن متباينة ومتضاربة على النحو الذي تبدو عليه الآن».

ولم يطرح أبو مازن في مساهمته السؤال الهام حول الدافع الذي جرّ الآلاف من اليهود من بين عشرات الاوساط القومية والاثنية واللغوية في العالم للتجمع في فلسطين.

ان ارتكاز الحركة الصهيونية على الاسطورة اليهودية هو الاساس الذي قامت عليه دولة الكيان الصهيوني، وبتجاهل هذه الحقيقة يتم تغييب أحد أبعاد الصراع الهامة حول فلسطين، ويحدث الغرق في بحر الاخطاء سواء على مستوى السياسات أو على مستوى الاستراتيجي.

ولعل هذا الوضع هو الذي جعل أبو مازن يتوه في اطار الوهم بزيادة الاستقطاب في المجتمع الاسرائيلي ويحاول بالتالي اقناعنا به حين يقول في كتيبه أن «قوة معسكر أنصار السلام تزايدت مع إقرار وثيقة الاستقلال والبرنامج الوطني الفلسطيني وغدا المجتمع (الاسرائيلي) يشهد حالة جديدة من الاستقطاب، تفرض علينا متابعة دقيقة لكل تطور في مواقف وآراء الاحزاب والشخصيات العسكرية والسياسية، ودراسة تحالفات القوى أو انقساماتها، وهي تعتبر سمة للحياة السياسية الاسرائيلية». ويضيف عضو اللجنة المركزية لفتح مؤكداً على أن ذلك يتطلب بشكل أساسي «اتصالات مباشرة مثلما يتطلب ملاحقة مستمرة لما ينشر في الاعلام».

وهكذا فان أبو مازن لم يبرهن وهو يتوهم وجود حالة الاستقطاب في المجتمع الاسرائيلي أن جناحي مؤسسته السياسية الرئيسين، أي العمل والليكود، يجمعان على كل الأسس المتعلقة بالمشروع الصهيوني بما في ذلك سعيه الى الغاء الآخر (أي شعبنا الفلسطيني) والى السيطرة على كل فلسطين، والى توسيع دائرة النفوذ الاسرائيلي إقليمياً ودولياً. ولا يتعدى الخلاف بينهما دائرة اختيار الوسائل والسياسات المناسبة لتحقيق ذلك. وفيما عدا ذلك من قوى، أي تلك التي قد تقبل

بتفكيك الكيان الصهيوني فلا يكاد يوجد لها أثر في الساحة السياسية الاسرائيلية.

والمسألة التي لا بد أن يحاول أبو مازن إعادة النظر فيها هي مسألة وجود الكيان الصهيوني ذاته. فهذا الكيان النابع من الاسطورة اليهودية، والذي هو امتداد للمشروع الاستعماري الغربي في لحظة تجليه القصوى في القرن التاسع عشر، هذا الكيان هو المشكلة. وهي مسألة لا تحتاج أن تكون فلسطينياً «متطرفاً» أو «اسلامياً» لادراكها. فأي قوة اسرائيلية تؤمن بضرورة وجود هذا الكيان واستمراره، ستكون بضرورات ايمانها ذلك، مع نفي الفلسطينيين (سواء على المدى الطويل أو القصير) ومع توسيع الكيان الصهيوني واعتباره ملجأ ليهود العالم أجمعين، ومع الهيمنة الاسرائيلية الاقليمية. لقد اعتبر أبو مازن في مساهمته انتقال م.ت.ف. من «التعاطي الايديولوجي» في مسألة الاتصالات مع قوى العدو الى «التعاطي السياسي»، انجازاً ايجابياً. والكارثة هي أن هذا الانتقال هو الذي سيؤدي بكل المشروع الوطني الفلسطيني الى الهاوية، وشيئاً فشيئاً، لن يتعد برنامجه السياسي، برنامج حزب العمل الاسرائيلي، ان استمرت الاوضاع على ما هي عليه.

سلاح / شركة «أي.بي.أم.» الاميركية تمد العدو بأجهزة كومبيوتر متطورة لصناعة القنابل النووية والهيدروجينية.

كشفت شبكة التلفاز الأميركية «أن.بي.سي» ودراسة قدمت لندوة حول الشرق الاوسط معلومات في غاية الأهمية حول برامج التسليح الاسرائيلية في مجالات القنابل والقذائف النووية والهيدروجينية، وفي مجالات الصواريخ بعيدة المدى، وتوجه شركة الكومبيوتر الاميركية الضخمة «أي.بي.أم» لتزويد مؤسسات البحث العسكرية الاسرائيلية بثلاثة أجهزة كومبيوتر فائقة التطور، ستستخدم جميعها في أبحاث برامج التسليح الاسرائيلية.

وذكر مراسل شبكة «أن.بي.سي» فريد فرنسيس أنه حصل على دراسة أعدتها وزارة الدفاع الاميركية تشرح بالتفصيل مدى التقدم الذي حققه البرنامج الاسرائيلي النووي. وقال أن هذا التقدم سيسمح لدولة العدو الصهيوني - في نظر المحللين - بصنع قنبلة هيدروجينية وتطوير صاروخ عابر للقارات. وذكر ايضا أن مؤيدي دولة العدو في الولايات المتحدة جمعوا أكثر من ١٠ ملايين دولار لشراء أجهزة كومبيوتر متطورة، يدعون أنها «ضرورية لأمن اسرائيل».

وفي ندوة «توازن الرعب الجديد» إحدى ندوات المؤتمر السنوي لمؤسسة الشرق الاوسط الاميركية كشف ثلاثة من الخبراء الاميركين المساهمين في الندوة المعلومات التالية :

١ - أن دولة العدو تملك بين ١٥٠ و ٢٠٠ رأساً نووياً، و

٢ - أنها تسعى لشراء ثلاثة أجهزة «سوبر كمبيوتر» من شركة «أي.بي.أم» الاميركية، يذهب الاول منها الى دائرة صناعة الاسلحة الاسرائيلية التي تنتج محركات الصواريخ متوسطة وبعيدة المدى. ويذهب الثاني الى معهد التكنولوجيا الاسرائيلي في حيفا الذي يعتبر المركز العلمي لصناعة الفضاء الاسرائيلية. أما الجهاز الثالث فمن المفترض أن يخصص لخدمة قسم الفيزياء في الجامعة العبرية، وهو القسم المتخصص في تطوير تكنولوجيا الطاقة النووية والهيدروجينية وأسلحتها.

٣ - ان التعاون الاسرائيلي مع دولة جنوب أفريقيا العنصرية جارٍ على قدم وساق في مجالات تطوير الاسلحة والقنابل النووية. وأن البرنامج الاسرائيلي لتطوير صاروخ «أرو» المضاد للصواريخ والذي تمول واشنطن ٨٠٪ من تكاليفه، قد تنتهي نتائجه في جنوب أفريقيا. والصاروخ ذاته يمكن استخدامه لاغراض هجومية ان تم اطلاقه في «الضربة الاولى» من الجانب الذي يمتلكه.

٤ - انه لا توجد أي دولة أخرى في الشرق الاوسط تملك القدرة على صنع القنبلة النووية. وفي منطقة شبه القارة الهندية تملك الهند بالفعل سلاحاً نووياً فيما يعتقد أن باكستان تملك القدرة على تصنيعه. ان ما سبق يشير بوضوح الى ان الولايات المتحدة تقوم بالفعل بخرق معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية، وذلك بمساعداتها العلنية والخفية لدولة العدو في ميادين تطوير الصواريخ والقذائف النووية. ولا شك أن مشروع بيع أجهزة الكومبيوتر المتطورة هو خطوة في غاية الخطورة في هذا المجال. وتستطيع الحكومة الاميركية - ان ارادت - أن توقف شركة «أي.بي.أم» عن تسليم الاجهزة المتطورة لدولة العدو، ذلك أن الكومبيوترات من هذا الطراز يمنع تصديرها للاتحاد السوفياتي. وهناك أيراني مهاجر الى الغرب يحاكم الآن في اميركا بتهمة تصديره لقطع كومبيوترات متطورة لايران. وبالاضافة الى ذلك، فان معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية، هي ذاتها التي اشهرت في وجه العراق وباكستان لمنعهما من تطوير مفاعلاتهما النووية، كما أنها ذاتها التي استخدمت لاصابة البرامج المصرية في مجال الطاقة النووية بالشلل. وترفض دولة العدو الآن التوقيع على هذه المعاهدة.

ان شركة «أي.بي.أم» الاميركية، هي شركة متعددة الجنسيات. وسواء عبر الشركة الام في الولايات المتحدة، أو عبر عشرات الشركات

المتفرعة عنها أو التي تمتلكها في أوروبا وشرق آسيا، توزع «أي.بي.أم» منتجاتها في أسواق عربية واسلامية واسعة. ونظراً لا تساع دوائر استخدام أجهزة الكمبيوتر في السنوات القليلة الماضية، فان المنافسة على الاسواق تصاعدت بشكل لا مثيل له بين شركات صناعة الكمبيوتر، سواء الاميركية منها والاوروبية واليابانية. واذا أشهر العرب والمسلمون سلاح المقاطعة أمام «أي.بي.أم» فان ذلك لن يدخل فقط في مجال العقاب الذي تستحقه، ولكنه أيضاً قد يثني الشركة الاميركية عن قرارها ببيع الأجهزة المتطورة لدولة العدو.

ولكن المهم اثارته، انه لا بد من توسيع دائرة المقاطعة العربية لتشمل مختلف الدول الاسلامية كذلك فعندها تكون سياسة المقاطعة الاقتصادية قادرة على أن تصبح سلاحاً فعالا وقاطعاً.

أوروبا / ميتران يبحث عن دور في الشرق الاوسط وحزبه يدافع عن الاساطير اليهودية

أثار الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران اهتماماً عربياً واسعاً في خطابه الذي ألقاه أمام البرلمان الاوروبي (برلمان مجموعة دول السوق المشتركة) في ستراسبورغ يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) الماضي. وكان الرئيس الفرنسي قد دعا في خطابه الى اجتماع يحضره ممثلون عن دول السوق (١٢ دولة) وعن الـ٢٢ دولة الاعضاء في جامعة الدول العربية وذلك لتعميق الحوار وتجديد الروابط الاوروبية ـ العربية و«فرض لغة العقل». وفي نفس الخطاب أكد ميتران على «حق اسرائيل في أن تكون لها دولة قائمة خلف حدود آمنة ومعترف بها». ثم عرج على الاوضاع في الضفة الغربية مشيراً الى أن «ما يجري في الضفة الغربية طال ما فيه الكفاية».

وفي حمى الاضطراب العربي والفلسطيني الرسمي من تدهور فرص التسوية في الشرق الاوسط بعد كل التنازلات التي قدمت عن الحق الفلسطيني التاريخي، ورغم أن تجربة السنوات العشرين الماضية لا توحي بدور أوروبي فعال مواز للدور الاميركي، فان أجواء خيبة الامل جعلت شخصيات عربية وفلسطينية تشتعل بالحماس والتفاؤل لما ذكره الرئيس الفرنسي في خطابه. وتحدث بعض هؤلاء عن «دور فرنسا التاريخي»، وعن زعامة ميتران، وعن «تغيرات ايجابية حاسمة في الموقف الاوروبي».

ولكن ما غاب عن المراقبين العرب والفلسطينيين أن أشارات ميتران في خطابه الاخير الى القضية الفلسطينية لم تخرج عن الاطار ذاته الذي حدد ضمنه موقف الحكومة الفرنسية في الخطاب الذي ألقاه أمام الكنيست الاسرائيلي في ١٩٨٢. وفي الحالتين لم يطرح ميتران مشروعاً فرنسياً محدداً للسلام، ولم يدعُ لمشروع أوروبي كذلك، ودعوته للقاء العربي ـ الاوروبي، لا تخرج عن قلق أوروبا العميق تجاه التغيرات السياسية والثقافية في الساحة العربية باتجاه الاسلام، إضافة لحاجة أوروبا الغربية لدفع الحكومات العربية نحو موقف موحد ضد «الارهاب الدولي» والضغط على القوى الاسلامية والفلسطينية التي تمارس نشاطات معينة في ذلك المجال. وإشارة ميتران الى «فرض لغة العقل» في العلاقات بين الطرفين تحمل على كاهلها ثقل المرارة التي تشعر بها حكومات وقوى عربية عدة (بما في ذلك سوريا وليبيا والقوى الاسلامية في لبنان) من السياسات الامبريالية التي تمارسها بعض الدول الاوروبية ضد العرب في العقد الأخير. واذا وضعت اعتبارات الجوار، والعامل الاسلامي المتصاعد في مناطق مثل تونس والجزائر وفلسطين، واعتبارات السوق التجارة، في موازاة فكرة اللقاء الاوروبي ـ العربي، يمكن أن نفهم حرص ميتران البارز نحو «تعميق الحوار» و«تجديد الروابط».

اما المسألة الاخرى في حديث ميتران، الذي سبق أن استقبل السيد ياسر عرفات في باريس قبل عدة شهور، فكانت في تجاهل حق الشعب الفلسطيني في تمثيل نفسه أو في تقرير المصير، في الوقت الذي كرر فيه الرئيس الفرنسي من جديد عبارة «الحدود الآمنة» لدولة الكيان الصهيوني. وهي العبارة المتاحة التي قد تحمل الكثير من الدلالات بما في ذلك استمرار التواجد الاسرائيلي حتى نهر الاردن. والجدير بالذكر أن فرنسا شهدت قبل أسابيع قليلة من وقوف ميتران أمام البرلمان الاوروبي، تقديم مشروع قانون للبرلمان الفرنسي من مجموعة من نواب الحزب الاشتراكي الحاكم (حزب ميتران) يدعو الى معاقبة المؤرخين والكتاب الذين ينكرون أن النازية قتلت في أفران الغاز أثناء الحرب العالمية الثانية ملايين اليهود. وذلك في الوقت الذي تجاهل فيه نواب الحزب الاشتراكي العنف المتزايد للعصابات اليهودية في فرنسا ضد مجموعات الكتاب والمؤرخين الفرنسيين الذين يدعون لبحث تاريخي معمق في الادعاءات اليهودية حول المذبحة.

وكانت أحدى هذه العصابات (أبناء المحافظين على ذكرى اليهود) قد هاجمت البروفسور روبر فوريسون الاستاذ الجامعي والمؤرخ البالغ من العمر ستين عاماً في مدينة فيشي وضربته ضرباً مبرحاً لتصريحاته المشككة في اسطورة أفران الغاز. ولا يستغرب أحد في فرنسا هذا التحرك الواسع للحزب الاشتراكي لحماية الاساطير اليهودية حول الحرب الثانية، فالحزب يعتبر منذ عقود طويلة مركز الثقل الرئيسي لليهود الفرنسيين، والعديد من قادته من اليهود، وزعيمه فرانسوا ميتران من أهم الشخصيات الاوروبية التي وقفت الى جانب دولة الكيان الصهيوني وما زالت. أما الذي يدعو للاستغراب فكان موقف الترحيب العربي والفلسطيني بخطاب ميتران الهزيل.

الـنفير في القرآن والنفير في فلسطين

الانتفاضة / الثورة.. هذا الحدث الذي استحوذ على اهتمام العالم بأسره طوال العامين الماضيين، وأسر وجدان المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وأضاء في ليل الشعوب المقهورة شمعة الخلاص والحرية.. تُرى.. أي سر هو الذي يكمن خلف ديمومته.. وأية نفحة علوية هي التي سرت في عروق هذا الشعب لتبعث فيه الحياة من جديد وتمنحه القدرة على العطاء والتواصل دون كلل أوملل.

إن رحلة البحث عن كلمة السرهنا رحلة طويلة شاقة تمتد الى أكثر من ألف وأربعمائة عام، يمر السالك فيها بمعالم الطريق التي تشكل ملامح صانعي الحدث في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.. نعم.. إنه التاريخ، القرآن، الرباط، الوعد، الأمة، الجهاد، الدم، السيف، الفداء، الشهادة، الجنة وغيرها من الكلمات الطلقات التي تخترق كل حواجز الرعب التي يقيمها الغاصبون وكل سدود الأوهام التي يشيدها المتساقطون لتنفذ الى ضمير الامة ومصدر إلهامها.. الى الاسلام.

إن محاولة الوقوف على منابع القدرة التي يتفجر بها غضب الشعب ودمه في الوطن المحتل لتستدعي الوقوف عند هذه المناهل التي طالما حاول المترصدون لها والمتنصلون منها ردمها. في هذا السياق يأتي حديثنا عن «الرباط» لنتلمس في ظلاله بعد المعاني التي نطل من خلالها على ساحة المعركة الدائرة اليوم على أرض الرباط.. أرض فلسطين. وفي هذا العرض سنكتفي ببين المعنى العام للرباط في ضوء مواطن استعماله في القرآن الكريم وما تستتبعه من مداخلات يقتضيها السياق على أن نكمل الحديث عنه كما ورد في الحديث النبوي في مرة قادمة باذن الله.

وبعيداً عن الخوض فيما أورده علماء اللغة والفقهاء في معنى الرباط ومادته فاننا نكتفي بالاشارة الى المعنى العام لأصل المرابطة والرباط وهو الاقامة على جهاد العدو. فمرابطة الجيش هي إقامته في الثغر أو ملازمته ميادين القتال. ومجازاً يأتي الرباط بمعنى الصبر والتثبيت كما قال الزمخشري في «أساس البلاغة» (ومن المجاز: ربط الله على قلبه : بمعنى : صبّره).

وكمصطلح قرآني فقد ذكر الرباط ومادته في القرآن الكريم في خمسة مواضع، اثنان منها بصيغة الأمر، وهما قول الله تعالى في سورة آل عمران [يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون] وقوله في سورة الانفال: [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم].

والثلاثة الباقية وردت فيها بصيغة الاخبار الذي يفيد التثبيت وهي قول الله تعالى في سورة الانفال [وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام] وقوله في سورة الكهف [وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض..] وقوله في سورة القصص [إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين].

وبتأمل هذه الآيات الكريمة يبدو واضحاً أن استعمال القرآن الكريم لمادة الرباط انما ينضوي تحت معنى عام واحد هو الشد والتثبيت. وهذا المعنى يشمل الرباط سواء دلّ على شيء ملموس كما في «رباط الخيل» أومعنوي كما في «وليربط على قلوبكم». والآن.. ما هي العلاقة بين تلك المعركة الشرسة والمتواصلة التي يخوضها شعبنا في فلسطين اليوم وبين هذه الآيات..

لا يكاد يختلف اثنان من ذوي النزاهة والانصاف أن الدم المسلم هو الذي أشعل شرارة الانتفاضة، وأن المساجد كانت ولا زالت تمثل منها القلب الذي يضخ في عروقها سواءاً بكونها منطلق الزحف الجماهيري الذي اتسمت به الانتفاضة في أشهرها الأولى أوباعتبارها مراكز لتعبئة وانطلاق الطلائع الجهادية وايوائها،أوبتحولها الى مؤسسات تنهض بالعبء التعليمي، والتكافلي ابان استمرار العدو في اغلاق المدارس والجامعات واحكامه لقبضة الحصار الاقتصادي لتجهيل شعبنا وتجويعه.. فمنذ ساعاتها الاولى الى هذه اللحظة ورغم كل محاولات التسلق والسرقة والتجيير، يبقى نبض الانتفاضة في انطلاقتها وديمومتها هو الاسلام.. إذن هذا هو المفتاح.. وهذه هي كلمة السر. فالذين أقروا بتفجير الاسلام للانتفاضة وادركوا قوته الفاعلة طيلة أيامها ومواجهاتها الدامية كان عليهم أن يدركوا ايضا أنهم ليسوا أمام حدث طارىء أو سحابة عابرة.. ومثل هذا الادراك لم يكن هينا بالطبع حتى انه استعصى على بعض الاسلاميين أنفسهم! فلم يكن بالامكان الوصول اليه دون تأمل هوية صانعي الحدث، والقراءة المتأنية للتعاليم التي تشكل ملامح وعيهم وتمثل مصدر إلهامهم.

مَن مِن ابناء جيل الصحوة الاسلامية الذي تربى في مساجد الوطن السليب في ظل الاحتلال لم يقرأ قول الله تعالى [يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون]. ولما كانت قراءة هذا الجيل للنص القرآني تختلف عما أراده له دعاة (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) في ديارنا ـ وهذا ما يخيف الغرب من هذه الصحوة ـ فطبيعي أن يستشعر تكريم الله له وهوينسب اليه سبحانه ويربطه بمصدر النداء في قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا] فيحمل عبء ما يلقى على سمعه من الدعوة الى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى. فمن الصبر على كل شيء الى المصابرة التي هي مفاعلة من الصبر تحض على أن لا ينفذ صبر المؤمنين على طول مجاهدة الاعداء تتأكد هذه الدعوة بالمرابطة وهي الاقامة في مواقع الجهاد والثغور المعرضة لهجوم الاعداء ثم تأتي التقوى التي هي الضمان بعدم الحيدة عن هذا الطريق.

إن الأثر الذي يتركه هذا التتابع في سرد هذه المطالب بهذا الايقاع وبهذه الوتيرة هو الاحساس بأن طريق الجهاد الذي يسلكه المخاطبون (الذين آمنوا) انما هو كما عبرعنه الشهيد سيد قطب رحمه الله (طريق طويل شاق.. حافل بالعقبات والاشواك.. مفروش بالدم والاشلاء، وبالايذاء والابلاء).

ولقد فهم هذا الجيل ايضا في قراءته للقرآن أن المعركة التي يخوضها

هي معركة ربانية محورها العقيدة التي تمثل الصخرة التي انكسرت عليها شوكة الغزاة على كل العصور، فالله سبحانه يقول [واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وأخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم..] ففي رحاب هذه الآية الكريمة فهم المسلمون بل واستوطن ضمائرهم على مدار التاريخ أن عدو الله هو عدوهم، وأن كل من يناصبهم العداء هو عدو لله. من هنا نفهم أن مواجهتنا لعدونا (عدو الله) على أرض فلسطين يجب أن تكون في منطلقاتها وغاياتها، محكومة بالمنهج الذي يرسمه لنا الله سبحانه وتعالى طالما أنه معنا في خندق المواجهة لهذا العدو. إن الحيدة عن هذا الطريق، وسلوك غير هذا المنهج لن تقودنا الى أية ثمرة أو نجاح، ان هي لم تجلب علينا سخط الله وغضبه. إن جماهيرنا المسلمة التي نذرت نفسها قرباناً للخلاص في هذه المعركة تدرك ذلك بحسها القرآني وبفطرتها النقية وهي تشيع شهداءها كل يوم بهتافها الشهير [لا اله الا الله.. الشهيد حبيب الله] انها وهي تعلن نسب الشهيد الى الله وتواسي جراحها ومصابها بفقده باعتزازها حب الله له انما تدرك في أعماقها ان قاتله عدو لله.

وقد جاء ذكر الرباط في آية الاعداد هذه في معرض إرشاد الله سبحانه للمسلمين بأن يهيئوا كل الاسباب ويمتلكوا كل الوسائل التي تمنحهم القوة والشدة في مواجهة أعدائهم. وبتأملنا لهذه الآية يلفت انتباهنا الشطر الاخير منها والذي غالباً ما نغفل عنه وهو قول الله تعالى [وأخرين من دونهم لا تعلمونهم.. الله يعلمهم] لقد اختلف المفسرون في هذا الفريق من الاعداء وان كان الراجح أنهم المنافقون وأياً كان الرأي، فالواضح من النص أن هؤلاء قوم لم يصنفهم الناس، بظاهر علمهم، ضمن جبهة «عدو الله وعدوكم» ولكن الله سبحانه وتعالى يعتبرهم كذلك بما اطلع عليه من أحوالهم. وهم حسبما يفيد السياق، يلتقون مع «عدو الله وعدوكم» فيما يقترفونه من جرم في حق الله وحق المسلمين وان خفي ذلك على الناس أو استعصى عليهم إدراكه. واذا كانت الآية تحصر أطراف العلاقة في معركة الحق والباطل بالمؤمنين (المخاطبين) و«عدو الله وعدوكم» و«الاخرين من دونهم» فأينون موقع أولئك الذين يفرطون في حق الاسلام والمسلمين اليوم في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يعترفون بفلسطين وطناً آمناً ل«عدو الله وعدوكم».

ومن الامر بالمرابطة واعداد، الى الاخبار بالربط على القلوب تتوالى الصور الناطقة بمدد الله وتثبيته لعبادة المؤمنين. فمن فتية الكهف الذين ربط الله على قلوبهم، أي أمدهم بعونه وتثبيته فاستطاعوا النهوض في مواجهة المجتمع الذي لا يدين بمنهج الله، الى مدد «بدر» وربط الله على القلوب فرسانها، تبدو صورة فتيان الانتفاضة شاهداً حياً يجسد كل المعاني القرآنية التي عادت بعد ألف واربعمائة عام لتصبح واقعاً ملموساً تقشعر لرؤيته أو لسماع سيرته الأبدان. لقد حارت الافهام وهي ترصد مسيرة الانتفاضة فترى الشعب الأعزل على مدار عامين كاملين يواجه باطفاله ونسائه وشيوخه جيشاً مجهزاً بكل أسلحة الفتك والدمار ليفتح بهذه المواجهة الأبواب أمام فهم جديد لمصطلح موازين القوى العسكرية في الحروب الحديثة. كم من الطائرات والرادارات أو راجمات الصواريخ والمدافع، أو الدبابات والمدرعات يملك هذا الشعب حتى صار عزمه يفل الحديد الكافر الذي لم يغد قادراً على أن يمنح حامله الأمن والطمأنينة.. وهو نفس الحديد الذي انهزم أمامه مراراً حديدنا «النظامي» فآثر الانطواء على نفسه والهروب الى الصدأ في مخازن الجيوش !!

من استعصى عليه هذا اللغز فما عليه إلا أن يخطو قليلاً باتجاه «بدر»، أول معركة خاضها الاسلام ضد معسكر «عدو الله وعدوكم» ليجد الجواب هناك حيث القلة المؤمنة المنتصرة على الكثرة الكافرة بمدد الله وعونه. ومثل هذه الرحلة الى بدر لن تكلف الآن كثير العناء. فالذي يرصد الحدث في شوارع الوطن المحتل ليس مطالباً بأن يغادر المكان الى صحراء الجزيرة العربية لينقب عن «بدر الجغرافيا» ولا أن يرهق نفسه بالعودة الى امهات الكتب ليبحث عن «بدر التاريخ».. ليس عليه إلا أن يخطو قليلاً الى عتبة أي مسجد في مدن وقرى ومخيمات وطننا المحتل أن كان يملك أو يطيق الاقتراب من فوهة النار المنصبة هناك فسيجد بدر الزمان والمكان.. سيجد بدر التاريخ والعقيدة.. سيجدها حاضرة في نداء «الله أكبر».. سيجدها في الذراع التي ترفع العلم فوق المئذنة، والساعد الذي يقذف الحجارة والمولوتوف، وأصابع الاطفال الطرية التي تصنع المتاريس، والأكف التي تحتضن قنابل الغاز وتلقي بها تارة أخرى على الغزاة، وجحور امهاتنا الميدانية المتحركة التي تزود الرماة بالحجارة وتدفعهم بالزغاريد.. سيجدها حاضرة في كل شيء وحين يسأل عن السر في هذه المنعة والقوة فان شطراً واحداً من آية من القرآن يكفيه : [وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام]. هذا الشطر هو جزء من آية نزلت ضمن الآيات التي نزلت في غزوة بدر حيث يقول الله تعالى في سورة الانفال [إذ يغشيكم النعاس أمنة منه، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام]. يصعب الحديث في هذه الآية بمعزل عن الجو العام لمعركة بدر ووقائعها كما قصها علينا القرآن الكريم. فرغم دافع الايجاز الذي يحكمنا في هذا العرض وحرصنا على حصره في الحديث عن الرباط ومادته، والا انه لا بد من الاشارة الى بعض المعاني المستمدة من وحي القرآن الذي يصور المعركة، والتي نراها وثيقة الصلة بمعركة الاسلام الفاصلة على أرض فلسطين اليوم.

بداية، يجب أن نعلم ان صاحب القرار بصنع «بدر» في الاصل، زماناً ومكاناً هو الله سبحانه وتعالى حيث يخاطب نبيه في معرض الحديث عن الخروج للمعركة بقوله [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق]. والغريب أن يكون من بين الصحابة يومها من كره الخروج في مشروع هذه المعركة كما كشف القرآن عن ذلك في ختام الآية المذكورة بقوله [وان فريقاً من المؤمنين لكارهون] وضمن هذا السياق كشف القرآن ايضاً عن أن المسلمين يومها كانوا يتمنون الظفر بقافلة المشركين

وغنيمتها دون ملاقاة النفير القرشي الذي خرج لنجدتها والدخول معه في معركة: [واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم] فما أراده المسلمون هو الظفر بغير ذات ال شوكة أما ما أراده الله جلت قدرته فقد أخبرنا عنه بقوله [ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين] ثم [ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون] ولم يكن ذلك ليتحقق الا من خلال المواجهة الدامية والصدام المسلح مع العدو. لذا، نرى ان الله سبحانه وتعالى يتكفل بتهيئة كل الأسباب اللازمة لتحقيق لحظة الصدام التي يلتحم فيها الجمعان وتميل الصفوف على الصفوف ليكون الفرقان بين الحق والباطل.

فرغم الصحراء الشاسعة المترامية الاطراف ها هو اللقاء يتم بين الطرفين وبشكل أدق مما لو كان كانا قد اتفقا على الزمان والمكان [اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى الركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد].

ثم يصغر الله سبحانه وتعالى المشركين ويحقرهم في أعين المسلمين فيقول [اذ يريكهم الله في منامك قليلا] ثم [واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا]. والعجيب أن يفعل الله سبحانه نفس الشيء بالنسبة لنظرة الكافرين الى المسلمين، فيكمل السياق بقوله للمسلمين [ويقللكم في أعينهم]. قد يخطر على بال السامع أن ما كان متوقعاً من قبل الله سبحانه أن يكثر المسلمون في أعين الكافرين حتى يهابهم هؤلاء ويتراجعوا عن قتالهم وملاقاتهم. ولكن الله جلت قدرته لم يفعل ذلك لأنه أراد للكافرين أن يطمعوا في قتال المسلمين باشعارهم انهم (المسلمين) لا يمثلون شيئاً يذكر أمام ما يملكون هم من قوة وعدد وعدة. وهذا دفع واضح من قبل الله باتجاه المواجهة المسلحة واشعال اللحظة التي تقرع فيها السيوف السيوف [ليقضي الله أمراً كان مفعولا] ولم يكن هذا الامر غير تمريغ أنف الكافرين «عدو الله وعدوكم» في التراب وتلقينهم الدرس بأعمال السيف في رقابهم.

وضمن جوانب الاعداد والتهيئة لهذا الأمر - والتي وصلت الى حد المعجزة - ينعم الله سبحانه وتعالى على المجاهدين بالنعاس ليكون لهم فيه الطمأنينة والراحة التي يستعدون بها لخوض المعركة الفاصلة [اذ يغشيكم النعاس آمنة منه] وتأمل كيف يمكن للمقاتل الذي يحدق في عيون عدوه خائفاً قلقاً أن ينام، فالخائف لا ينام وان أراد النوم أو كان في حاجة اليه. انها ارادة الله سبحانه الذي أنزل المطر ايضا وفي غير أوانه، وفي وقت تحرقت فيه القلوب ظمأ وحاجة الى التطهر والاغتسال. فتطهر المجاهدون وأزالوا الوسوسة من صدورهم والقلق من نفوسهم وثبت الله بهذا الغيث أقدامهم معنوياً ومادياً، حيث صارت الارض الرملية الرخوة التي تسيخ من تحت أقدامهم صلبة متماسكة. وبذلك كان الربط على القلوب المؤمنة وهي تتأمل ما حولها فتدرك شيئاً فشيئاً أنها محاطة بالمعجزة وتتحرك في كنف الله وحمايته، صائرة حتماً الى ما وعدها ربها. من هنا كان نداء النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بأن يخرجوا لمبارزة جلاوزة قريش مبتدأً بقوله [قوموا الى جنة عرضها السموات والارض]. ثقة ما بعدها ثقة. ويقين ما كان لله أن يخذله فجاءت النتيجة [فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم.. وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى].

ولننتقل الآن من بدر الى معركة الاسلام التي تدور رحاها على أرض فلسطين اليوم لنتعرف على ما يريده الله وما يريده البشر من سير هذه المعركة. رغم قولنا أن معركة اليوم تتشابه في كثير من فصولها مع «بدر» المدد الالهي وغيرها ايضا من معارك صدر الاسلام الا أن هناك خلافاً يبقى قائماً بين هذه تلك ولكنه لا ينفي حضور «بدر» في ضمير شعبنا المجاهد وكونها مصدراً من مصادر إلهامه في تضحياته وعطائه. والخلاف هو حول عنصر القيادة في المعركتين. فبدر وغيرها من معارك الاسلام الخالدة لم تعهد التفرقة الحاصلة اليوم على الساحة الفلسطينية بين ما يسمى بالقيادة الرسمية للشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة والقيادة الفاعلة التي تتقدم الصفوف في صناعة الحدث. الامر الثاني والأكثر أهمية أن قيادة بدر كانت قيادة ربانية تمثلت في شخص النبي صلى الله عليه وسلم والتي وقفت بلا منازع في جانب ما يريده الله لا ما يريده البشر. بمعنى أوضح فمقابل انحياز قيادة الامس وتسليمها لما يريده الله من خيار المواجهة المسلحة نجد أن القيادة الرسمية للشعب الفلسطيني تنحاز الى طريق غير ذات الشوكة فيما الجماهير تتبنى هذا النهج وتثبت بتضحياتها اليومية وبتبوئها مكانها الطبيعي في جانب ما يريده الله سبحانه (كما كانت قيادة الامس) أنها هي القيادة الحقيقية الفاعلة للمعركة.

ان ما يتضح من خلال صدر سورة الاسراء أن هذا العلو والافساد الذي يمثله الكيان الصهيوني على أرض فلسطين اليوم انما يأتي ضمن سنة الهية أجراها الله سبحانه في سياق الصراع بين الحق والباطل على هذه الارض. وان ارادته عز وجل ماضية باتجاه انجاز وعده الذي جاء ضمن مقتضيات هذه السنة بأن عباده المؤمنين لا بد أن يسوؤا وجوه أصحاب هذا الكيان ويدمروا علوه تدميرا. ولا نظن أن هناك أحداً يجرؤ أن يدعي أن هذا يمكن أن يحدث عبر ما يسمى بالمفاوضات أو بالحوار مع «عدو الله وعدوكم» كما نظن أن أحداً لا يملك بأن يخرج ليسد على الامة طريقها - باشاعة جو الهزيمة ودعاوى السلام مع «عدو الله وعدوكم» - باتجاه تلك المعركة الأشد ضراوة والتي سينطق فيها الحجر والشجر - مهما طال الأمد - كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فينادي [يا عبد الله ان ورائي يهودي تعال فاقتله] ان الله سبحانه هو الذي أحيا هذه الجماهير وأراد لها هذا الخروج في واحدة من أعظم انتفاضات الشعوب بعد أن ظن الجميع أنها ماتت في ظل سني الاحتلال.. وهو الذي يصغر ويحقر في أعينها كل أدوات القمع والبطش الصهيوني فيدفعها الى مزيد من التضحية والفداء دون توقف. وكذلك يفعل الله مع العدو (كما فعل مع مشركي بدر) فيجعله يستصغر هذا الشعب ويستضعفه، بل يملأ قلبه بالغرور الذي يدفعه الى عدم الاستسلام الى شعب اعزل يواجه الآلة العسكرية الفتاكة والمتقدمة. كل ذلك من أجل أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.. فهل يملك أحد ايضا أن يدعي أن هذا الامر هو الحوار الاميركي - الفلسطيني أو المفاوضات المباشرة مع «عدو الله وعدوكم» التي تلهث من أجلها

القيادة الفلسطينية الرسمية اليوم !

وختاماً يأتي الحديث عن صانعات مجدنا الممسكات لمقبض الرحى في هذه الانتفاضة المباركة.. عن أمهاتنا وتضحياتهن التي فاقت كل تصور وإدراك.

إن جانباً من جوانب هذه التضحية هو الذي نود الاشارة اليه في ظلال الآية الكريمة التي تتحدث عن أم موسى عليه السلام فتقول [وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين]. تصف هذه الآية حال أم موسى حين ألقت بولدها في أليم ثم تملّك الحزن قلبها وسرى الخوف في أوصالها فأصبح فؤادها فارغاً مبدداً بالهواجس والمخاوف حتى كادت أن تكشف أمرها وتعلن سرها (إن كادت لتبدي به) لينتشله القوم من البحر قبل أن يهلك غرقاً وهنا يأتي مدد الله وتثبته فيربط على قلبها و يشد أزرها لكي تصبر وتواصل الكتمان وتثبت على الايمان [لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين]. هذه الصورة تتكرر اليوم مع الأم الفلسطينية المؤمنة التي يطارد ولدها و يتخذ من الجبال والأحراش موطناً له فيما الوحوش الكاسرة من جنود الاحتلال تحرث الأرض عرضاً وطولاً بحثاً عنه. يداهمون البيت المرات تلو المرات يسألون أمه وأهله عنه وغالباً ما يعتدون على افراد أسرته بالضرب و يعتقلون بعضهم كرهينة الى حين عودته وتسليمه لنفسه. كل هذا أمام التهديد بقتله إذا ما ظفروا به. في ظل هذا الجو من الرعب يصبح فؤاد الأم فارغاً جزعاً وهي ترقب في كل لحظة سماع صوت الرصاص الذي قد يطلقه الغزاة تجاه ولدها، حتى تكاد أن تبدي به وتجعله يُسَلِّم نفسه للاعداء فيدخل السجن حتى لا يبقى عرضة لرصاصهم الذي يترصده. ومن فضل الله وبعونه فان ذلك لم ولن يحدث حيث يتكرر مشهد أم موسى وقد ربط الله على قلب الأم الفلسطينية المؤمنة فغدت مثالاً للصبر والمصابرة والمرابطة. كما بدا واضحاً ان موقف الأم في ظل الانتفاضة لم يعد يتمثل في الصبر «السلبي» الذي يعني مجرد الرضى والتسليم بحالة الخطر التي يمر بها ولدها المطارد بل تجاوزت ذلك بدفعها هي لنفسها إلى مقدمة الصفوف في ساحات الخطر لتحي أمجاد الخنساء ونسيبة بنت كعب وخولة وكل رائدات الجهاد الاسلامي من المؤمنات الأول.

وعلى كل الاحوال، يبقى دور الامهات اللاتي اثبتن حضورهن الفذ في كل فعاليات و يوميات الانتفاضة دوراً رياديا يستحق كل تقدير واجلال. ولم لا وهن المؤمنات اللاتي ربط الله على قلوبهن فصرن يخرجن يوميا ليودعن بالزغاريد فلذات أكبادهن شهيداً يزف الشهيد وهن يلوحن باطراف مناديلهن هاتفات [لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله].

إن شعبنا يستلهم كل هذه المعاني وغيرها من وحي القرآن الذي هو مصدر إلهامه وسر عطائه لقادر على أن ينهض ليحطم كل الاغلال التي تكبله وليرفع قبضته مهما صغرت في مواجهة عدوه مهما كبر طالما أدرك أن عدوه.. عدو الله، وأن الذي يقف معه في خندق المواجهة هو الله.

فلسطين في محادثات مالطا

اللقاء المتوقع عقده بين الرئيسين الاميركي جورج بوش والسوفياتي ميخائيل غورباتشوف في ٢ كانون الاول (ديسمبر) بالقرب من شواطيء جزيرة مالطا في عرض البحر المتوسط سيتناول العديد من قضايا الصراع بين المعسكرين وستتركز تلك المباحثات على نقاط رئيسية ثلاث: اوروبا وإعادة توزيع النفوذ في طرفيها الشرقي والغربي، وخفض التسلح النووي والحد من الصواريخ العابرة للقارات، والسيطرة على مناطق التوتر الاقليمي في العالم.

ومن دون شك فان قضية «الشرق الاوسط» كما تسميها وسائل الاعلام الغربية ستكون ضمن برنامج المباحثات التمهيدية التي يتوقع أن يتم الاتفاق عليها لاحقاً في اللقاء التالي في مطلع صيف العام المقبل. ولا يتوقع من اللقاء المقبل ان يحقق الشيء الجديد في ما يتعلق بقضية حقوق الشعب الفلسطيني. اذ ان توازن القوى لا يسمح حتى الان باعادة النظر في المواقف الدولية المتعارف عليها. ولكن، كما تظهر بعض الاحداث العارضة، انه سيتم مناقشة قضية «الشرق الأوسط» من وجهة جديدة لا علاقة لها بقضية الحقوق أو العدوان الصهيوني على الدول العربية المجاورة بل سيتم التطرق الى المسألة من زاوية المصلحة المباشرة لكل فريق.

واذا كانت قضية حقوق الشعب الفلسطيني لا تعني لا من قريب أو بعيد مصالح الدولتين الكبريين فما هي اذن الزاوية التي سيتم بها بحث قضية «الشرق الأوسط».

تؤكد المعلومات المتوفرة ان هناك ثلاث نقاط رئيسية تتعلق بالموضوع وهي: أولا، مسألة الانفتاح السوفياتي - الاسرائيلي وإمكانية تحسن العلاقات وصولاً الى تبادل العلاقات الديبلوماسية. ثانياً، مسألة هجرة اليهود السوفيات والاتفاق السري بين تل أبيب وموسكو على إعطاء تأشيرات دخول تنقل مباشرة اليهود السوفيات الى الأرض المحتلة من دون المرور في محطة إستراحة تسمح لليهود باختيار الجهة التي يريدون التوجه اليها. ثالثاً، التعاون النووي - التقني بين دولة العدو والنظام العنصري في جنوب أفريقيا وانعكاس ذلك على قضية خفض التسلح النووي والحد من كمية الصواريخ العابرة للقارات.

ويلاحظ من النقاط الثلاث ان واشنطن مهتمة بالنقطتين الاوليتين بينما موسكو تركز مخاوفها على النقطة الاخيرة. وربما لجأت موسكو الى مقايضة واشنطن النقطة الثالثة بالنقطتين الاولى والثانية.

والسؤال لماذا تتخوف واشنطن من مسألتي تحسن العلاقات الديبلوماسية والسياسية بين موسكو وتل أبيب وموضوع هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل من دون اختيار جهة ثانية وثالثة؟

على عكس ما يظن البعض ان الادارة الاميركية لا ترتاح سياسياً

ولا تاريخياً من مسألة إعادة العلاقات الديبلوماسية بين موسكو وتل أبيب كما انها لا تتحمس كثيراً لموضوع الهجرة المباشرة لليهود من الاتحاد السوفياتي الى دولة العدو. والسبب ان واشنطن لا تنطلق في الموضوع من مصالح الشعب الفلسطيني وحقوقه وانما من مصالحها هي ونظرتها الى قضايا الصراع في الشرق الأوسط. فواشنطن تعتبر ان استفرادها بالعلاقات مع اسرائيل واستبعاد موسكو يشكل قوة ضغط بيدها على العرب ويحول العلاقة المنفردة مع دولة العدو الى أداة ابتزاز للدول العربية. وهي في هذا المعنى المصلحي الضيق تعتبر ان مشاركة موسكو في تلك العلاقات يخفف من دور واشنطن المنفرد و يعطل عليها ترتيب شؤون المنطقة من دون منافسة أو مزاحمة دولية. كما ان تحسن العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية ينزع من واشنطن ورقة إبتزاز ضد السوفيات أنفسهم وهي ورقة تعتبرها الادارة الاميركية أقوى ما تملك في موضوع «حقوق الانسان»، لان سماح موسكو بسفر اليهود مباشرة الى تل أبيب يسحب بساط «اللوبي اليهودي» الاميركي من برنامج التحريض الاعلامي ضد موسكو و يؤدي الى نوع من الهدنة السياسية بين يهود اميركا والكرملين، الأمر الذي سيسحب الورقة اليهودية من لعبة الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ويجعل واشنطن دولة مكشوفة في المناورات الاعلامية بين الطرفين.

ويلاحظ مما ورد أعلاه ان واشنطن مثل موسكو لا تهتم كثيراً بمسألة الانعكاس السلبي الذي ستتركه مسألة إعادة العلاقات بين موسكو وتل أبيب على حقوق الشعب الفلسطيني، كما انها لا تكترث كثيراً لموضوع التدمير السكاني والأقتصادي الذي ستتركه مسألة السماح لليهود السوفيات بالهجرة مباشرة الى فلسطين. والغريب في هذا الموضوع، ان لا الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفياتي يكترثان بالمخاطر والاخطار التي سيتركهما موضوع هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة وإنعكاس هذه الهجرة السلبي على ظروف شعبنا في أرضهم حيث ان إزدياد هجرة اليهود يعني عملياً تشجيع النزعة العدوانية الصهيونية ورفع معنويات المشروع الشاروني القاضي بطرد شعبنا من الضفة الغربية وقطاع غزة وإحلال المهاجرين اليهود بالقوة مكانهم، كما أن هذه السياسة الدولية العمياء ستزيد من مصاعب شعبنا وتؤثر سلبياً على التوازن السكاني والامكانات المعيشية وتعطل إمكانية تحقيق الحد الأدنى من حقوق شعبنا ومطالبه.

كل هذه المسائل لا تهم موسكو ولا واشنطن، بل كل ما يهمهم من الأمر هو من يكسب الورقة اليهودية (هجرة اليهود واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة) ومن يكسب الورقة الاسرائيلية والضغط على المنطقة العربية وإملاء الشروط الدولية عليها. أما الورقة الفلسطينية فهي آخر ما يفكر بها زعيما الدولتين الكبريين. فالتنافس بينهما هو على الورقتين اليهودية والاسرائيلية أما كسب الورقة الفلسطينية فهي كما تدل الاحداث ليست في وارد العاصمتين موسكو وواشنطن.

تبقى النقطة الثالثة وهي مسألة إقدام «اسرائيل» على تطوير قدراتها النووية والصاروخية بالتعاون مع جنوب افريقيا. وتشكل هذه النقطة مصدر قلق للاتحاد السوفياتي الذي تقع دولة العدو على حدوده الجنوبية. ويبدو أن موسكو التي سبق وأبدت مخاوفها من هذه الناحية أخذت تعير هذه المسألة أهمية خاصة في مرحلة يعمد فيها الكرملين على الانفتاح ويحرض الغرب نحو إنتهاج سياسة تقلص من حجم القوى النووية وكمية الصواريخ المتوسطة المدى أو العابرة للقارات. وتعتقد موسكو أن استثناء اسرائيل من معسكر الغرب وعدم إحتساب قدراتها النووية واستكمال بناء برنامج تطويرها للصواريخ المتوسطة المدى نقطة سلبية قد تنعكس لاحقاً على علاقات الشرق والغرب وطموحات المعسكرين في الحد من التنافس الدولي في مجالي التطوير النووي والتقدم الصاروخي، وتعتقد موسكو انه اذا كان لابد من البحث في مسألة النزع الشامل للصواريخ النووية فانه لا بد من إدراج «اسرائيل» واحتساب قدراتها جزءاً من المعسكر الاميركي. ويرى الكرملين انه من غير المعقول ان تستمر المفاوضات بين الجانبين، الاميركي والسوفياتي، لنزع الصواريخ وتدمير القدرات النووية في الوقت الذي تستمر دولة العدو وهي المحسوبة حتى الان من المعسكر الغربي على تطوير برنامجها النووي وقدراتها الصاروخية.

ولذلك قد يطلب غورباتشوف من بوش ان يضغط على «اسرائيل» لوقف برامجها وإدخال ترسانتها النووية والصاروخية في جدول المباحثات وكجزء لا يتجزأ من اتفاق الدولتين الكبريين. ويرى الكرملين ان استمرار «إسرائيل» في تطوير برامجها النووية والصاروخية خطوة مربكة له في الوقت الذي يقدم هو على نزع سلاحه أو تدميره. ولذلك فمن المعتقد ان يلجأ غورباتشوف الى سياسة المقايضة بين نزع الورقة اليهودية في الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفياتي ونزع الورقة الاسرائيلية التي تخدم سياسة واشنطن في المنطقة العربية وبين وقف اسرائيل تطوير برنامجها النووي والصاروخي الذي سيؤثر مستقبلا على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي.

خلاصة الموضوع ان المفاوضات حول «الشرق الأوسط» لن تتناول مسألة حقوق الشعب الفلسطيني ولا حق الشعب في العودة وبناء دولته المستقلة بل ستتركز المفاوضات على كيفية تبادل المنافع بين الدولتين الكبريين في إطار تنازع المصالح بين العاصمتين في أكثر من نقطة توتر إقليمية في العالم.

الانتخابات البرلمانية في الاردن: حل مؤقت لأزمة تاريخية

تفوق الاسلاميين يدهش و يربك الاعداء والاصدقاء معاً

ما أن أقفلت محطات الاقتراع للانتخابات الاردنية البرلمانية ـ الاولى منذ ١٩٦٧ ـ ابوابها مساء الخميس ١١/٩ حتى توقع المراقبون أن يحقق الاسلاميون الاردنيون انتصاراً كبيراً..

وعندما أعلنت النتائج في اليوم التالي كان حجم الانتصار قد فاق

كل التوقعات، بل وفاق كل محاولة أخرى للتيار الاسلامي في المنطقة العربية للعمل السياسي عن طريق صندوق الاقتراع !

حصل الاسلاميون على ٤٠ في المائة (٣١ مقعداً) من مقاعد المجلس النيابي الاردني البالغ عددها ٨٠ مقعداً، منها ٢٠ مقعداً لقائمة الاخوان المسلمين و١١ مقعداً لقوائم وشخصيات اسلامية مستقلة. واذا وضع في الاعتبار أن الفائزين على أسس عشائرية يمثلون ايضا دوائر ذات حس اسلامي قوي وتقليدي، فان الواضح أن الاتجاه الاسلامي في الاردن قد حصل على أغلبية أصوات الناخبين.

وفي المقابل لم تستطع القوى اليسارية الايديولوجية الحصول على أكثر من مقعدين. وحتى أن وضع الفائزين من الاتجاهات القومية واليسارية أو المتعاطفين معها معاً، فان عددهم لن يتعدى ستة نواب. كان من أبرز الفائزين على قائمة الاخوان المسلمين الشيخ عبد المنعم أبو زنط الذي حصل على أكبر عدد من الاصوات على مستوى الاردن كله، ود. ماجد محمد خليفة ود. علي الحوامدة ود. همام سعيد ود. أحمد الكوفحي والشيخ ذيب أنيس ود. محمد أبو فارس. ومن الاسلاميين المستقلين، المهندس ليث شبيلات والشيخ يعقوب قوش والشيخ (مهندس زراعي) محمد ابراهيم العلاونة. كما فازت ايضا الشخصية الاسلامية المعروفة الاستاذ يوسف العظم الذي خاض المعركة الانتخابية مستقلاً رغم تاريخه الاخواني القديم.

والملاحظ أن فوز العناصر الاسلامية غطى معظم أنحاء المملكة، من شمالها الى جنوبها، ولم يقتصر على منطقة معينة كما توقع المراقبون قبل إجراء الانتخابات.

كما أطاح الناخبون باسماء عشائرية وسياسية بارزة. فقد فشل في الوصول الى المجلس كل من الوزير السابق عبد الوهاب المجالي ورئيس مجلس النواب السابق عاكف الفايز. كما فشل زعيم الحزب الشيوعي الاردني يعقوب زيادين وزعيم حزب التجمع الوطني (اتجاه قومي) د. جمال الشاعر. ولم يفز من اليسار إلا عيسى مدانات (شيوعي) وبسام حدادين (الحزب الشعبي الديمقراطي، وهو جناح الاردن للجبهة الشعبية الديمقراطية). وكانت النتائج واضحة في تأثيرها على المؤتمر الصحفي الذي عقده الملك حسين يوم الجمعة ١٠/١١ في مدينة عمان للتعليق على العملية الانتخابية، حيث قال: «أنا مسلم هاشمي، والاردن دولة اسلامية». وقال معلقاً على الشعارات التي رفعها الاسلاميون في الانتخابات أن شعار «العودة الى الاسلام غير سليم، وانما التقدم نحو الاسلام هو الأسلم، وسنرى كيف يتحمل الجميع مسؤولياتهم» !

وقال الملك أنه سيدعو الى استفتاء عام والى الاتفاق على ميثاق وطني من أجل السماح بتشكيل الاحزاب في البلاد. ونوه في اشارة تذكير وتحذير واضحة بأن «الاخوان المسلمون» مسموح لهم بالعمل في الاردن فيما هم ممنوعون في كل الدول العربية الاخرى. ولكنه كان أكثر تردداً عندما سئل عن احتمالات انهاء قوانين الطوارىء اذا طالب المجلس النيابي الجديد بذلك. وربط ايضا بين قرار فك الارتباط مع الضفة الغربية في ٣١/٧/١٩٨٨ وبين عقد الانتخابات النيابية، وهو ما لاحظه المراقبون للوضع الاردني من قبل.

خلفيات العملية الانتخابية

لا شك أن أهم ما لفت الانتباه منذ اعلان اسماء المرشحين وبدء الحملة الانتخابية، العدد الكبير من المتنافسين على القاعد الثمانين، اذ بلغ عددهم ٦٥٦ مرشحاً، ينتمون الى العديد من التيارات السياسية والايديولوجية. والواضح أن الانقطاع الطويل للاردن عن الحياة النيابية، الذي استمر منذ انتخابات ربيع ١٩٦٧ العامة، بل واضمحلال الحياة السياسية بمفهومها التعددي منذ الغاء الاحزاب في ١٩٥٧، كل ذلك أدى لفقدان وجود مؤشرات لتوازنات القوى وأحجامها الجماهيرية. مما جعل الكثير من أصحاب الطموح أو الانتماء التوهم في امكانية الحصول على الدعم الجماهيري.

ومن ناحية أخرى أدت عملية التحديث المتسارعة الخطوات التي شهدها المجتمع الاردني منذ بداية السبعينات الى تفكيك نسبي لمراكز الثقل القبلي والعشائري. حتى أن بعض الدوائر شهدت ترشيح أكثر من خمسة مرشحين ينتمون لقبيلة واحدة، و يتنافسون على أصوات أبنائها. ورغم ذلك فان قبائل اخرى، مثل العبيدات، توصلت الى حل «ديمقراطي» للازمة، اذ اجتمع ابناؤها قبل الانتخابات لاختيار مرشح واحد عن القبيلة.

وعلى المستوى السياسي، واضافة لمرشحي العشائر واولئك المحسوبين على النظام من وزراء ونواب سابقين، كانت هناك كتلتان سياسيتين رئيسيتين، الاولى حقيقية التواجد والفعالية، والثانية تاريخية الامتداد ووهمية التواجد والفاعلية، وهما: الكتلة الاسلامية وما اصطلح عليه بالحركة الوطنية.

ضمت الكتلة الاسلامية جسماً رئيسياً هو قائمة الاخوان المسلمين التي ضمت ٢٦ مرشحاً، وكان أبرز نقاط برنامجها الانتخابي تركيزها على التحرير الكامل لفلسطين من النهر الى البحر وبكل الوسائل، وتركيزها الواضح المعالم والجذري على المسألة الاقتصادية. اذ انها القائمة الوحيدة التي أثبتت في برنامجها مبدأ مساءلة السلطة التنفيذية في شأن المديونية الخارجية. ودعوا الى «تقديم كشوفات تفصيلية توضح أبواب الانفاق لهذه المديونية الضخمة، وذلك حتى يعرف الشعب كيف انفقت القروض وحتى يطالب بمحاسبة ومحاكمة المسؤولين عن ارتهان مستقبل ابنائنا واحفادنا وأحفاد أحفادنا بسببها». وطالبوا كذلك بمساءلة عن الاسباب الحقيقية لهبوط الدينار وسوء التصرف بالعملات الاجنبية والذهب في البنك المركزي وتقديم المسؤولين عن هذه الجرائم للمحاكمة وتوقيع القصاص العادل بهم». والى جانب القائمة الاخوانية ترشح من الاسلاميين المهندس ليث شبيلات والشيخ يعقوب قرش عن قائمة دار القرآن. والدارهي في الاساس تجمع تربوي اسلامي تحول مع الوقت الى مركز استقطاب سياسي. كما تقدمت شخصيات اسلامية عديدة للانتخابات بصفة مستقلة، بعضها حمل وراءه ماضياً حزبياً (أخوان أو تحرير) وبعضها بدون ذلك. وكان أبرز ما لاحظه المتبعون للانتخابات الثقل القوي للاسلاميين وسط

المخيمات الفلسطينية، الا ان من الظلم تعزية نجاحهم الكبير الى ذلك العامل فقط ـ رغم ما فيه من دلالة ـ لأن تقسيم الدوائر الانتخابية الذي خضعت له الانتخابات الاخيرة أضعف من أثر أصوات المخيمات على العملية الانتخابية. أما اتجاهات «الحركة الوطنية» فقد توزعت بشكل واسع ما بين اقصى اليسار وتيارات الاتجاه القومي. الحزب الشيوعي الاردني تقدم بثمانية مرشحين، أما المنظمة الاردنية للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين فقد انشقت عن الجبهة قبل الانتخابات وشكلت الحزب الشعبي الديمقراطي وخاضت المعركة الانتخابية بأربعة مرشحين. وكان ياسر عبد ربه أحد قياديي الجبهة الديمقراطية قد زار عمان قبل الانتخابات وأوضح للمسؤولين الاردنيين أن جبهته ليست طرفاً في المعركة الانتخابية وأن جناحها الاردني خارج الجبهة تماماً. كما خاض الانتخابات ايضا عدة مرشحين من المحسوبين على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جورج حبش). الا أن ما لاحظه المراقبون أن منظمة التحرير بكافة فئاتها تقريباً حرصت على الا تتدخل بدعم أو شجب أي من المرشحين، وحافظت على حيادها سياسياً ومالياً (!).

أما التيارات القومية فشملت مجموعات من البعثيين أو الناصريين القدامى في اطارين رئيسيين هما التجمع القومي التقدمي والتجمع الوطني الوحدوي، وكلاهما منيا بفشل ذريع.

بلغ عدد الذين استلموا بطاقاتهم الانتخابية، رجالاً ونساءاً، حوالي ٨٧٧ ألفاً، وهو عدد أقل من المليون وعشرين ألفاً الذين سجلوا بالفعل داخل البلاد لمن يحق لهم التصويت. وكانت هذه هي المرة الاولى التي يسمح فيها في تاريخ الاردن للمرأة بالاقتراع أو خوض الانتخابات. ومن بين الذين استلموا بطاقاتهم بالفعل أدلى ٥٥٥ ألفاً باصواتهم وهي نسبة تصل الى ٦٣ في المائة من حملة البطاقات وحوالي النصف ممن يحق لهم الاقتراع. وهي بلا شك نسبة قليلة بشكل ملحوظ وتعكس من جهة قناعات مسبقة لدى قطاع كبير من السكان بعدم جدية ما يجري، كما تعكس القلق والاضطراب في خيارات الفلسطينيين من سكان الاردن، الذين وجدوا أنفسهم في العام الاخير أمام أردن بلا ضفة غربية، أمام أردن يؤكد على فصم هويته الاردنية عن الهوية الفلسطينية.

تاريخ مضطرب للحياة النيابية

استقل الاردن عن بريطانيا في ١٩٤٦، وفي العام التالي وضع دستور جديد للبلاد عالج العلاقة بين السلطات الثلاث للدولة. وجرت أول انتخابات تشريعية في شرق الاردن بعد استقلاله في ٢٠/١٠/١٩٤٧. ولكن المجلس النيابي المنتخب لم يكمل فصله التشريعي، إذ سرعان ما حل في ١٩٥٠ أثر الوحدة بين الضفة الغربية والشرقية. وفي نفس العام أقيمت الانتخابات النيابية في الضفتين معاً، الا أن عمر المجلس النيابي كان قصيراً كذلك. اذ انه حل في كانون أول (ديسمبر) ١٩٥٢ لصدور دستور أردني جديد نص على أن «الامة مصدر السلطات وأن رئيس الوزراء والوزراء مسؤولون أمام المجلس». وهو ذات الدستور المعمول به حتى الآن. وعقدت انتخابات تالية في ١٩٥٢ (ولم يكمل المجلس دورته ايضا) ثم في ١٩٥٦. وكانت الاخيرة هي التي أوصلت كتلة قومية يسارية قوية للبرلمان الاردني أدت لتشكيل وزارة سليمان النابلسي الشهيرة. ولكن الوزارة أقيلت والمجلس تعرض للحل اثر تفاقم الأزمة السياسية في البلاد في ١٩٥٧ بين الوزارة التي اتجهت عربياً وناصرياً والملك والمجموعة المحيطة به التي أرادت الحفاظ على ولاءات الاردن الغربية. وصاحب قرار الحل والاقالة قرار آخر بالغاء الاحزاب السياسية في البلاد ما زال سارياً حتى الآن. واستثنى من قرار الحل «الاخوان المسلمون» الذين اعتبروا «جمعية» وليس «حزباً».

ومنذ استئناف الحياة النيابية في ١٩٦١، حل المجلس ثلاث مرات قبل إكمال فترته الدستورية. وذلك في خريف ١٩٦٢ ومرة أخرى في ١٩٦٣ وهو الحل الذي أسفر عن تشكيل مجلس مدجن في ربيع نفس العام. ثم حل المجلس بقرار من حكومة وصفي التل في كانون أول (ديسمبر) ١٩٦٦ ليشكل من جديد بعدها بشهور. جرت آخر انتخابات نيابية في البلاد في أبريل (نيسان) ١٩٦٧ وأسفر عنها فوز جميع اعضاء المجلس السابق (!) واستمر التمديد للمجلس حتى نهاية ١٩٧٤ حيث ألغي بقرار ملكي اثر صدور قرار مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط (٢٩/١٠/٧٤) الذي اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني. وكان قرار تجميد الحياة النيابية، بالغاء المجلس الذي ضم ممثلين عن الضفتين تعبيراً من الملك عن امتعاضه من قرار القمة العربية.

وفي ١٩٧٨ وجه الملك رسالة لرئيس وزرائه دعاه فيها لانشاء مجلس استشاري وطني، مهمته تقديم المشورة للسلطة التنفيذية ومناقشة السياسة العامة للبلاد وتم بالفعل تشكيل أول مجلس استشاري في العام نفسه وعين اعضاؤه بارادة ملكية حيث ضم ٦٠ عضواً، ارتفع عددهم عام ١٩٨٢ الى ٧٥ عضواً. استمر هذا المجلس في التواجد، بدون فعالية حقيقية حتى ١٩٨٤، حيث أعيد تنشيط المجلس النيابي السابق (مجلس ١٩٦٧) باجراء انتخابات تكميلية في الضفة الشرقية من أجل ملء المقاعد التي خلت بوفاة اعضائها واعادة تسمية نواب الضفة الغربية. وجاء قرار تنشيط المجلس النيابي إثر تجميد الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني وتدهور علاقات م.ت.ف. بالملك والحكومة الاردنية، وبدء مسعى أردني جديد لعزل المنظمة، وإعادة الاردن الى مقدمة عملية التسوية للقضية الفلسطينية كممثل للفلسطينيين. كان مقرراً أن يستمر عمل المجلس «المنشط» حتى ١٩٨٧، ولكن الوضع القلق للمنطقة وعدم وضوح توجهات مساقاتها السياسية أدى الى تمديد عمل المجلس لعامين آخرين تنتهي في ١٩٨٩. ولكن انفجار الانتفاضة الفلسطينية في نهاية ١٩٨٧ فاجأ كل الدوائر السياسية، الاقليمية والدولية على السواء. وانتظر الملك حسين أكثر من ثمانية شهور حتى تأكد له استمرار الانتفاضة من جهة وإعادة الحياة لمنظمة التحرير الفلسطينية داخل وخارج الوطن المحتل من جهة اخرى. وفي ٣١ تموز (يوليو) ١٩٨٨ أعلن فك الارتباط القانوني والاداري بين الضفتين الشرقية والغربية مفسحاً بذلك لـ «م.ت.ف.» أن تتحمل مسؤوليات

التسوية السياسية بالكامل، وبدون الاردن. وقد حل البرلمان «المنشط» قبل يوم واحد من فك الارتباط بالضفة. ولكن الانتفاضة والتسوية لم تكن هي السبب الوحيد وراء قراري فك الارتباط وحل البرلمان، فالمسألة أكثر تعقيداً من ذلك.

أزمة الاردن التاريخية

لم يرتبط مصير دولة عربية بفلسطين كما ارتبط مصير الاردن. ورغم أن مجموع الدول العربية التي قامت على أساس اتفاقية سايكس-بيكو في اعقاب الحرب الاولى (العراق، سوريا، لبنان، الاردن، وفلسطين) تحمل في داخلها حتى الآن عوامل أزمة تكوينها القسري، ويرتبط مصيرها ببعضها البعض، الا أن حدود الاردن الطويلة مع فلسطين، وقرار حكومته بتوحيد الضفتين الغربية والشرقية عقب نكبة ١٩٤٨، جعل منه رهينة لتطورات القضية الفلسطينية.

في ١٩٦٧ خسر الاردن الضفة الغربية وحمّلته تلك الخسارة مسؤوليات سياسية واقتصادية هائلة. فمن ناحية أصبح مطالباً بانجاز مهمات إعادة الضفة الغربية أو العمل على دعم من يقاتل لأجل ذلك. ومن ناحية أخرى أصبح أكثر من نصف سكان الضفة الشرقية من الفلسطينيين، فيما تدنت امكانات البلاد الاقتصادية. وكان عقد السبعينات مليئاً بالكوارث المتتابعة للاردن، فقد بدأ بالحرب الاهلية في ١٩٧٠-١٩٧١ التي نتج عنها طرد «م.ت.ف.» من الضفة الشرقية. ولكن،وما ان ظن الحكم الاردني أنه تخلص من تحدٍ قاسٍ لسلطته حتى جاء قرار القمة العربية في ١٩٧٤ بالاعتراف بالمنظمة ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وهو ما كان يعني بوضوح ادارة العرب ظهورهم للاردن. وفي ١٩٧٨ جاء خروج مصر من ساحة الصراع أثر توقيع اتفاقيات «كامب ديفيد» وأصبح على الاردن أن يصارع «م.ت.ف.» -ونصف سكانه من الفلسطينيين- على تمثيل الفلسطينيين، وأن يصارع -منفرداً- الحكومة الاسرائيلية من أجل تسوية «مقبولة». وفي الحالتين كان الاردن أضعف من أن يتحمل ثقل الصراع.

ولكن جوهر القلق الاردني ومخاوفه العميقة لم تكن من اتجاهات الريح الفلسطينية، بل من التوجهات داخل المؤسسة الاسرائيلية ذاتها.

فمنذ ما بعد ١٩٦٧ تبلورت داخل الجسم السياسي الاسرائيلي اتجاهات ثلاثة لمستقبل التسوية:

الاول: تنازل جزئي عن الضفة الغربية - الأرض أو السكان أو كلاهما معاً - للفلسطينيين، على أن لا يتمتعوا بكيان مستقل بل بكيان مرتبط بالأردن. وهو الاتجاه السائد في حزب العمل الاسرائيلي والمتعارف عليه بالخيار الأردني.

الثاني: حكم ذاتي للفلسطينيين (السكان وليس الارض)، يتم البحث في إرتباطه بالأردن أو بدولة الكيان الصهيوني، أو ضمن وضع ثالث، فيما بعد. وهو أحد اتجاهين داخل الليكود.

الثالث: دولة الفلسطينيين هي الأردن، حيث يتم تغيير النظام بنظام فلسطيني جديد، ويدفع بعدة مئات آلاف من فلسطيني الضفة إليه. وهو ما يعرف باتجاه «الكيان البديل»، ويدعمه قطاع واسع من الليكود وأحزاب اليمين الاصغر حجماً، والأحزاب الدينية.

وعندما أندلعت الانتفاضة، وأصبح واضحاً عجز العدو الاسرائيلي عن قمعها، ارتفعت حدة القلق والمخاوف الاردنية من أن يلجأ العدو الى مواجهة الانتفاضة عن طريق تفريغها خارجياً باشعال حرب مفتعلة مع الأردن أو الاردن وسوريا، تؤدي في النهاية إلى دفع مئات الآلاف من سكان الضفة الغربية إلى الشرقية وإلى تشكيل الكيان البديل.

وكانت احتمالات هذا السيناريو بالذات هي التي دفعت الملك في العام الماضي إلى فك الارتباط مع الضفة الغربية، وذلك الى جانب مؤشرات صعود نجم «م.ت.ف.» من جديد. وأصبح الملك اكثر ميلا بالتالي الى ذلك الجناح من مؤسسة الحكم الاردني الذي دعا دائماً الى التركيز على شرق الأردن وترك الضفة الغربية والقضية الفلسطينية وهمومها ومتطلباتها للفلسطينيين.

ولا شيء يعكس أزمة الاردن السياسية التاريخية منذ النكبة الأولى، كمجلسه النيابي. اذ فيما عدا مجلس ١٩٦٧ الذي مدد له بسبب الحرب، ثم جمد ثم حُل ثم أعيد تنشيطه، ثم حُل من جديد؛ ما عداه لم يكمل أي مجلس نيابي آخر فترته القانونية الكاملة وهي أربع سنوات. وفي كل الحالات كان قرار الحل يأتي على خلفية من الاحتقان السياسي في البلاد، لسبب أو آخر، يتعلق بالقضية الفلسطينية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

وينظر المراقبون اليوم للاضطرابات الاقتصادية التي اجتاحت البلاد في ابريل (نيسان) الماضي وأدت لازاحة حكومة زيد الرفاعي، على أنها السبب المباشر الذي دفع بحكومة زيد بن شاكر والملك الأردني الى الاسراع باعادة الحياة النيابية الى البلاد. علّها من ناحية تمتص الغضب الشعبي تجاه التدهور الاقتصادي البالغ، وتعيد التوكيد على «أردنة» الأردن.

ومهما كانت قوة العامل الاقتصادي وراء التطور الجديد، فان ما لا يمكن إغفاله، ان انكشاف الوضع الاقتصادي الاردني -بعد سنوات من النهب وسوء الادارة- جاء أيضاً اثر إعلان قرار فك الارتباط مع الضفة الغربية. إذ ان الاعلان أدى لتدهور سريع في قيمة الدينار، رافقه وتبعه اتجاه أصحاب رؤوس الأموال لشراء العملات الاجنبية من السوق وتهريبها للخارج.

وكان أحد المرشحين للمجلس قد أشار بسخرية لاحد الصحفيين الأجانب أن الأردن لو كان ثرياً أو في وضع إقتصادي جيد لما كانت هناك انتخابات نيابية.

وهكذا...

فان لحكومة زيد بن شاكر أن تفخر بأنها أدارت واحدة من اكثر العمليات الانتخابية العامة نزاهة في التاريخ الحديث للاردن، وربما لكل المنطقة العربية.

وللمؤسسة الأردنية -وعلى رأسها الملك- أن تستريح لعدة ليال بعد أن أكدت «استقرار الأردن» عبر إمتحان صعب، رغم كل تركيبته المعقدة وأزمته الاقتصادية.. وللاسلاميين في الأردن بشكل خاص أن

يفخروا بدعم الجماهير الكاسح لهم، وقد اثبتوا انهم ملجأ الأمة، وأن شعار تحرير فلسطين - كل فلسطين - هو خيار الجماهير الحقيقي. ليس فقط تلك التي تقطن المنافي البعيدة، بل أيضاً الآلاف الواقفة على خط النار الاول...

وللشعب الأردني أن يتمتع بفصل الحرية القصير، ولعله على أية حال بادئة التخلص من دولة المخابرات وعدالة ملفات دوائر الأمن...

ولكن على هؤلاء جميعاً ألا ينسوا أويسمحوا بأن يغيب عنهم، أن المجلس النيابي لن يحل عقد سايكس - بيكو التاريخية. وأن أي عاصفة إقليمية أو دولية قد تطيح بالمجلس الجديد كما أطاحت بكل المجالس التي سبقته. وأن مصير المنطقة، والأردن على الأخص، قد ربط بلا فكاك بمصير القضية الفلسطينية. وأن أمام الجميع خياراً من اثنين: أن يكون هذا الارتباط سلبياً وغير فعالاً كارتباط الدابة بالساقية، أو أن يكون إرتباط الانسان المسؤول والواعي بقدره وتاريخه.

الأخوان المسلمون في حرب فلسطين الأولى

وسط هذه الحالة من اضطراب القرار العربي وتراخيه، كان هناك رجل واحد خارج فلسطين هو حسن البنا، يحاول انتهاز كل فرصة ممكنة لادخال الاخوان الى الساحة الفلسطينية، ليس كحركة دعوة بمشروع سياسي اسلامي هذه المرة، بل كقوة عسكرية جهادية.

ففي أواخر الحرب الثانية تألفت في مدينة يافا منظمة كشفية باسم النجادة، بدأت في التوجه الى التدريب العسكري، غير أن خلافاً برز بين قيادات النجادة وعلى رأسها محمد نمر الهواري والحزب العربي الفلسطيني برئاسة جمال الحسيني، حيث بادر الأخير الى تأليف منظمة شبيهة ترأسها كامل عريقات باسم الفتوة. ولكن الخلافات تصاعدت بين المنظمتين.

بادر الامام حسن البنا بالاتفاق مع المفتي لمحاولة اصلاح ما بين المنظمتين، فاستدعى عريقات والهواري للقاهرة وفي اجتماع خصص لبحث الأمر، حضره المفتي والامام البنا ومحمد علوبه باشا ومحمد صالح حرب، اتفق على توحيد المنظمتين في منظمة واحدة اطلق عليها المفتي اسم منظمة الشباب العربي الفلسطيني. وباسم الهيئة العربية العليا، عيّن المفتي الصاغ محمود لبيب (وكيل الاخوان المسلمين للشؤون العسكرية آنذاك) قائداً لها، فعيّن هذا الهواري وعريقات مساعدين له، وقرر التوجه الى فلسطين بصحبة مجموعة من الاخوان لتدريب المجاهدين الفلسطينيين وبدء الاستعدادات للمعركة التي كان نذيرها قد برز من كل اتجاه. لكن سلطات الانتداب سرعان ما اكتشفت نشاطه داخل فلسطين وطردته منها في آب (اغسطس) ١٩٤٧.

كان شهر تشرين أول (اكتوبر) ١٩٤٧ شهراً حاسماً لدى الاخوان المسلمين في فلسطين وخارجها. فقد أصدر حسن البنا أوامره لكل فروع الجماعة بالاستعداد للجهاد، وفي ٢٠ من نفس الشهر تم استعراض الكتيبة الاولى من المتطوعين.

وفي ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) عقد الاخوان المسلمون الفلسطينيون مؤتمراً لهم في مدينة حيفا صدرت عنه القرارات التالية:

«١ - يعلن الاخوان المسلمون تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل، واستعدادهم للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية في هذا السبيل.

٢ - يعلن الاخوان المسلمون ان هيئة الاخوان المسلمين ستتحمل نصيبها كاملا من تكاليف النضال.

٣ - الاتصال مع الهيئة العربية العليا للبحث في بعض الشؤون العامة».

وبعد ذلك التاريخ بأيام ثلاثة أبرق الامام البنا لمجلس الجامعة العربية يقول أنه على استعداد لأن يبعث كدفعة أولى من المتطوعين، عشرة آلاف مجاهد من الاخوان الى فلسطين. وامام تعنت حكومة النقراشي في السماح للاخوان بالتجنيد والتدريب والتحرك الى فلسطين قاد المرشد العام في ١٢ كانون أول (ديسمبر) مظاهرة حاشدة انطلقت من الأزهر الشريف مطالبة بالجهاد.

وكان البنا مباشرة مع صدور قرار التقسيم قد شارك محمد صالح حرب (الشبان المسلمون) ومحمد علوبه باشا في تأسيس لجنة وادي النيل لجمع التبرعات وشراء السلاح لدعم الجهاد في فلسطين.

في الاسبوع الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية عدة جلسات في القاهرة حضرها معظم رؤساء الحكومات العربية، وأصدرت في ١٧ من الشهر نفسه بياناً نددت فيه بمشروع التقسيم، وأعلنت عن تقديم الاسلحة المقررة في اجتماع عاليه الى اللجنة العسكرية للجامعة وارسال ثلاثة آلاف سطوع بأقصى سرعة لمساعدة عرب فلسطين. وتقرر توزيع القوات المشاركة في الحرب في تنظيمين: الاول جيش الانقاذ أوجيش التحرير الذي كلف بتأليفه الفريق طه الهاشمي واللواء اسماعيل صفوت وفوزي القاوقجي. ويتكون من المتطوعين العرب باشراف اللجنة العسكرية للجامعة. والثاني جيش المجاهدين الفلسطينيين الذي تشرف عليه الهيئة العربية العليا وسمي بجيش الجهاد المقدس وعهد بقيادته لعبد القادر الحسيني ويساعده المجاهد الشيخ حسن سلامه. وأصبح واضحاً أن الدول العربية لن تسمح للاخوان السوريين والاردنيين بدخول فلسطين بصفة مستقلة خارج جيش الانقاذ. وفي مصر استطاع البنا اقناع صديقه القديم عبد الرحمن عزام بأن تتبنى الجامعة العربية دخول قوات الاخوان المصريين من الجهة الجنوبية لفلسطين فوافق على ذلك.

أرسل الاخوان في باديء الأمر عبد المنعم النجار واليوزباشي كمال صدقي اللذين جالا في فلسطين ثم عادا لمصر لاحضار المتطوعين. والارجح أن الفوج الاول من الاخوان قد وصل الى فلسطين في شباط (فبراير) أو

قـــراءات

آذار (مارس) ١٩٤٨ وكان بقيادة الشيخ محمد فرغلي حيث توسل الفوج للوصول الى ساحة الجهاد بالحيلة، بعد أن منعتهم حكومة النقراشي، اذ حصلوا على ترخيص يسمح لهم بالسفر الى سيناء في رحلة علمية فلما وصلوا أكملوا الطريق الى فلسطين، وخاضوا أول معاركهم في منتصف نيسان (ابريل) في صحراء النقب ضد مستعمرة «كفار ديروم». كما يعتقد بأن انضواء الاخوان القادمين من مصر تحت لواء الجامعة العربية قد تم بعد دخول الفوج الاول. اذ ان الافواج التالية التي دخلت عن الطريق الساحلي الجنوبي لفلسطين أصبحت تحت قيادة الضابط أحمد عبد العزيز الذي رشحه الاخوان لقيادة قوات المتطوعين القادمة من مصر لثقتهم في شجاعته وايمانه. ولعل ما يجدر الاشارة اليه ان المتطوعين المسلمين الذين دخلوا الى فلسطين من جبهتها الجنوبية شملوا في صفوفهم متطوعين من ليبيا والسودان، رغم أن جلهم كان من مصر. فقد سجل العارف أن فوجاً قاده البكباشي الورداني ضم ٢٠٠ من المتطوعين معظمهم من الليبيين، لحق بعضهم بأحمد عبد العزيز بعد ان نقل الأخير مقر قيادته الى قطاع جنوب القدس، فيما رابط الجزء الآخر في عراق سويدان. كما تشير وثائق الخارجية البريطانية الى أن جمال الدين السنهوري، وكان سودانيا يعمل مسؤولا في دائرة الشؤون الافريقية في مكتب علاقات العالم الاسلامي التابع للاخوان المسلمين في القاهرة، زار السودان في ١٩٤٧ داعيا للتطوع للجهاد في فلسطين، ثم زارها مرة اخرى في العام التالي لنفس الهدف.

وسجل خضر حمد في مذكراته تفصيلات أوسع حول حركة التطوع في السودان، قائلا «كانت فكرة التطوع والجهاد في سبيل الله والوطن تملأ نفوس الكثيرين من المواطنين من مختلف القبائل وكانوا كلهم يرون أن حرب فلسطين حرب دينية لا جزاء للشهيد فيها إلا الجنة فاندفعوا راغبين حتى بلغ عددهم السبع آلاف رجل». وقد تم اختيار ٢٥٠ مجاهداً منهم ودخلوا فلسطين برفقة الجيش المصري. ولعل هذه المجموعة تختلف عن تلك التي استجابت لدعوة السنهوري ودخلت فلسطين مع الافواج الاخوانية. ومن بين الـ٢٥٠ الذين ذكرهم حمد سقط على ارض المعركة ٤٤ شهيداً أورد أسمائهم ورتبهم جميعاً صاحب المذكرات.

ومن الجهة الشرقية كان الفوج الاول من جيش الانقاذ قد دخل في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ الى منطقة شمال فلسطين، أما الثاني فتمركز على خط بيسان ـ نابلس في شباط (فبراير)، والثالث في مثلث نابلس ـ جنين ـ طولكرم في آذار (مارس).

طلب الاخوان المسلمون السوريون أن تكون لهم كتائبهم الخاصة، وأمام الحاحهم وافقت الجامعة العربية على ذلك. وهكذا، وصل الفوج الاول منهم بقيادة عبد الرحمن الملوحي في مطلع نيسان (ابريل) الى منطقة القدس حيث شارك في معركة القسطل المحتدمة آنذاك الى جانب كتائب الجهاد المقدس، وهي المعركة التي استشهد فيها القائد المجاهد عبد القادر الحسيني. أما الفوج الثاني من الاخوان السوريين فقد قاده الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان المسلمين في سوريا، وتمركز أولا في منطقة اريحا، حيث شارك في معركة النبي يعقوب، ثم توجه بعدها الى القدس.

ودخل الى ساحة المعركة أيضا فوج كبير من الاخوان المسلمين الاردنيين بقيادة المراقب العام عبد اللطيف ابو قورة. وكان يساعده الملازم المتقاعد ممدوح الصرايرة، وذلك في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٨. وتمركزوا في بلدة عين كارم حيث خاضوا عدة معارك في كفار عيشون ورامات راحيل. ويذكر الشريف بأن الاخوان الاردنيين اندمجوا بالقوة التي كان يقودها أحمد عبد العزيز، والتي دافعت حتى نهاية الحرب عن مرتفعات جنوب القدس. هذا وكان عناصر الاخوان المسلمين الفلسطينيين التي تطوعت من خلال شعب الاخوان المنتشرة في البلاد التي بلغ تعدادها في ذلك الوقت عشرين شعبة قد توزعت للقتال الى جانب أفواج المجاهدين التي قدمت من المناطق العربية المجاورة.

شمل نشاط الكتائب الاخوانية معظم انحاء فلسطين وابلوا بلاء حسنا في عشرات المعارك التي دارت في منطقة الساحل الجنوبي لفلسطين والنقب وتلك التي دارت جنوبي القدس. وفيما عدا منطقة النقب الواسعة، التي عملت فيها قوة صغيرة لهم الى جانب الجيش المصري، تكاد تكون المواقع التي تمركز فيها الاخوان قد نجت جميعا من الهجمة الصهيونية في ١٩٤٨، بما في ذلك القطاع الهام الممتد من القدس الى الخليل مروراً ببيت لحم.

في ١٥ مايو (أيار) دخلت الجيوش العربية الى فلسطين وفي ٢ حزيران (يونيو) أعلنت الهدنة الاولى، التي استغلها اليهود لتعزيز قواتهم بالسلاح والطائرات. وفي ٩ تموز (يوليو) استئنف القتال من جديد ليتوقف مرة ثانية بعد ثلاثة أيام. وفي الشهور التي تلت الهدنة الثانية هاجمت القوات الصهيونية القوات المصرية في النقب واخرجتها منه حتى خليج العقبة، كما استولت على الجليل حتى الحدود اللبنانية من أيدي جيش الانقاذ وفي ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ أوقف القتال لتبدأ مفاوضات الهدنة.

ساهمت قوات الاخوان المسلمين المتواجدة في الجنوب في الدفاع عن العديد من المناطق التي تعرف الآن باسم قطاع غزة، كما دافعت ضد محاولات القوات الصهيونية لاختراق خط الحدود المصرية الفلسطينية في النقب والتقدم الى قلب سيناء.

وفي مصر اشتعلت المظاهرات الطلابية في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ضد قرار الحكومة بقبول الهدنة في الحرب، فاتهمت حكومة النقراشي الاخوان بتحريك الطلاب. وفي ظل التوتر الشديد الذي ساد العاصمة المصرية أعلنت الحكومة الامر العسكري (وكانت البلاد تحت الاحكام العرفية) بحل جمعية الاخوان المسلمين في مصر بكافة شعبها، وذلك في ٨ كانون الاول (ديسمبر). وبعد عشرين يوماً من صدور قرار الحل أغتيل النقراشي رئيس الوزراء وصاحب قرار الحل، واتهم الاخوان بأغتياله.

وتعرضت قوات الاخوان المسلمين العائدة من فلسطين لقمع حكومة ابراهيم عبد الهادي، الذي تولى رئاسة الوزارة بعد موت النقراشي، وفي ١١ شباط (فبراير) اغتيل الامام حسن البنا في شارع

الجلاء بالقاهرة أمام مبنى جمعية الشبان المسلمين، وكانت مؤامرة اغتياله التي تورط فيها القصر الملكي والحكومة على السواء آخر مراحل حرب فلسطين الاولى، اذ دفع حسن البنا حياته ثمنا لقراره التاريخي بدخول الساحة الفلسطينية.

شاعت في الخمسينات والستينات داخل الاوساط الاخوانية في مصر وفلسطين، أقوال نقلت عن حسن البنا قبل استشهاده تشير الى أنه وافق على ارسال مجاهدي الاخوان الى فلسطين تحت ضغط قواعد الجماعة، بينما هو شخصياً كان يفضل الحفاظ على قوى الاخوان استعداداً للمعركة الداخلية في مصر، التي ما كان ممكنا أن تحسم المواجهة مع المشروع الصهيوني في فلسطين بدون حسمها لصالح القوة الاسلامية.

وفيما يسهل إكتشاف العوامل التي دفعت لانتشار تلك الأقوال في مرحلة كانت الجماعة فيها تتعرض لضربات مؤلمة في مصر، فان من الصعب إيجاد ما يدعم صحتها في سيرة حسن البنا وتاريخ الاخوان حتى استشهاده.

كان مشروع حسن البنا الاسلامي يمتد لانحاء العالم الاسلامي خارج مصر منذ منتصف الثلاثينات، بعد أن أكد عليه المرشد العام في كتاباته. وكانت فلسطين هي أول منطقة اختارها البنا لنشر المشروع الاخواني، حتى قبل السودان الذي كان حينذاك ما يزال ومصر بلدا واحدا. كما أن الاخوان لم تفتهم فرصة واحدة، سياسيا ولا عسكريا، حتى استغلوها للعمل على الساحة الفلسطينية، الى أن وضعوا كل جهدهم العسكري في غمار معاركها.

ولعل الصحيح هو ما ذكره ميتشل وأكد عليه المفتي في شهادته للدفاع عن الاخوان أثناء محاكمتهم في مصر في نهاية الاربعينات، ان المفتي والامام البنا وعبد الرحمن عزام كانوا جميعا يفضلون أن يترك الدور الرئيسي في المعركة للفلسطينيين، على أن يقف ورائهم دعم عربي واسلامي كاف، على المستوى المادي، وفي اطار حركة تطوع على المستوى البشري. وبدون تدخل رسمي عربي، وذلك لتجنب محاولات التدخل الدولي. على ان التطورات اللاحقة تجاوزت حتى وجهة النظر تلك.

كانت مساهمة الاخوان المسلمين في الحرب الفلسطينية الاولى، أهم حدث شهده تاريخ القضية الفلسطينية الحديث منذ المؤتمر الاسلامي العام في ١٩٣١، وذلك من حيث الاثر على وحدة الامة الاسلامية حول فلسطين. وان كان المؤتمر قد اطلق شرارة مشروع الوحدة على فلسطين، فقد أكدت المساهمة الاخوانية المشروع على ارض القتال. وهي المسألة التي بقيت تغذي الاتجاهات الاسلامية في المنطقة لعدة عقود بعد ذلك.

على مستوى الفلسطيني كان المشهد بعد نهاية الحرب، مشهد كارثة وطنية لا مثيل لها عبر التاريخ كله. فقد قامت دولة اسرائيل على ٧٦،٧٪ من مساحة فلسطين بأغلبية يهودية وصلت الى ٨٣٪ من السكان. فيما أصبحت الضفة الغربية (٢٢٪ من مساحة فلسطين) جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية، وأصبح قطاع غزة (١،٣٪ من مساحة فلسطين) خاضعا للادارة المصرية مع الاحتفاظ بشخصية اعتبارية فلسطينية. واستمر الوضع على تلك الحال حتى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

وكان أهم نتائج نكبة ١٩٤٨ على الساحة السياسية الفلسطينية ان انتهت الاحزاب السياسية الفلسطينية واختفت بلا ضجيج يذكر، ولم يبق من قوى ما قبل ١٩٤٨ السياسية الا تلك التي كانت جزءا من حركة سياسية وايديولوجية دولية أو عربية، ونخص بالذكر الحزب الشيوعي والاخوان المسلمين. اما الهيئة العربية العليا فقد ارتبطت بشخص المفتي وخضعت بالتالي لحالات صعوده وهبوطه. لم تنته الاحزاب التي كان يمكن أن تسمى بالاحزاب الوطنية فقط، بل انها لم تتكرر ثانية على الساحة الفلسطينية الجديدة لفترة ليست بالقصيرة، ذلك أن القوى التي ولدت فلسطينيا بعد النكبة مثل حزب التحرير وحركة القوميين العرب كان تعتبر نفسها قوى تمثل الجامعة الاسلامية أو الحركة الوحدوية العربية، وشابه الاخيرة ايضا حزب البعث الذي ولد سورياً ومد نشاطه بين الفلسطينيين، خاصة في الاردن، في الخمسينات والستينات. ولعل هناك عدة اسباب تفسر نهاية الاحزاب الوطنية الفلسطينية.

فقد كانت هذه الاحزاب من ناحية قد ضعفت الى درجة كبيرة في الاربعينات بعد أن عجزت عن تحقيق الطموحات الجماهيرية في مواجهة الغزو. ومن ناحية اخرى، لم تكن تلك الاحزاب ذات محتوى عقائدي يساعدها على الصمود أمام زلزال النكبة الكبير، بل كانت في أغلب الحالات ذات طبيعة عشائرية أو مصلحية.

ولكن السبب الاهم على الارجح تمثل في انهيار الجماعة الوطنية وتشتتها في مناطق جغرافية عديدة وبين عدة دول، كما واجهت كتلة كبيرة منها مشاق حياتية لا توصف. ولعلنا لا نبالغ هنا في استخدام مصطلح الجماعة الوطنية، فهي على أية حال جماعة لم تتكون ضمن نفس السياق التاريخي الذي ابرز القوميات الغربية الاوروبية، من حروب دينية وصعود للطبقة الوسطى وحركة استعمار. ولكن تبلور الاحساس بالجماعة الوطنية في فلسطين بشكل خاص واقطار العالم الاسلامي بشكل عام، رافق التراجع القسري الذي عانت منه فكرة الجامعة الاسلامية بعد الحرب الاولى، وارتباط مسألة الوجود ذاتها للجماعة في تلك البقعة المحددة (فلسطين) بمسألة مواجهة الاحتلال البريطاني والغزوة الصهيونية.

في هذا القسم تعيد «الاسلام وفلسطين» نشر بعض المقالات والدراسات التي سبق نشرها في وسائل الاعلام العربية والعالمية المختلفة والتي تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية. ومن البديهي أن تعكس هذه المقالات آراء كتابها فقط بدون أي مسؤولية لـ «الاسلام وفلسطين» عن محتواها أو اتجاهاتها أو اخطائها السياسية أو التاريخية.

قصة فاطمة الامية المسيّسة شقيقة الشهداء الثلاثة

عندما تسأل امرأة فلسطينية ماذا كان دورها في الانتفاضة تحدثك عن مشاركتها في التظاهرات ورشق الحجارة وتحدثك أكثر عن عراكها مع الجنود الاسرائيليين لتخليص أحد الشبان من قبضاتهم أو اخفاء الشبان في أثواب النسوة وتهريبهم من كان لآخر.

ولكن بعضهن لم يقمن بكل هذا. اذ كان دورهن في الكواليس منذ بداية الانتفاضة حتى لحظة اعتقالهن، ومع ذلك أصبحن من أساطير الانتفاضة التي يتكلم عنهن الفلسطينيون بفخر من شكال الضفة حتى جنوب القطاع.

احدى هذه الاساطير تدعى رابعة ابو صالحية اعتقلت وهي في الثانية والخمسين من عمرها مع ابنها وتتهمها السلطات بنقل سلاح استخدم للقضاء على متعاونين مع السلطات الاسرائيلية في نابلس، واخرى تدعى سميحة عبد الحق في الثالثة والاربعين وهي الاخرى متهمة بنقل سلاح الى مكان تنفيذ حكم الاعدام بحق متعاون في نابلس واعادته الى حيث أخذته. والاثنتان الآن في المعتقل في انتظار المحاكمة.

قصة فاطمة

وهناك ايضا فاطمة الجعفري التي لم تتمكن منها سلطات الاحتلال حتى الآن.

فاطمة كانت من بين المطلوبين من قبل سلطات الاحتلال. وظلت مختفية عن الانظار ولكن ليس بعيداً عن العمل السياسي والنضالي طيلة ٥ أشهر ونصف حتى أوقع بها أحد المتعاونين مع السلطات وهي تحاول تبيّن أخبار ابنها خارج المحكمة حيث كان يحاكم. أوقعوا بها ولن لم يستطيعوا الحصول على اعتراف واحد خلال فترة التحقيق التي تعتبرها فاطمة «أهم من أي عمل نضالي خارج المعتقل والاختبار الحقيقي لصلابة المناضل» فاضطروا الى اطلاق سراحها بعد ثلاثة أشهر من الاعتقال.

تستقبل فاطمة (٤١ عاما) ضيوفها في منزلها المتواضع عند حافة مخيم الدهيشة (قرب بيت لحم). ومع انها لم تدخل يوما مدرسة ولم تتعلم القراءة والكتابة الا انها تتكلم بلغة «المسيسين» وتختار كلماتها بعناية حتى لا تفلت منها كلمة واحدة من غير ارادتها، تثبت التهم المنسوبة اليها. كل هذا وتعبير واحد يغطي وجهها هو مزيج من الحزن والتصميم القوي.

وفي حديثها عن فترة تشردها قبل اعتقالها تختصر فاطمة الخمسة أشهر ونصف الشهر التي قضتها بين الجبال والقرى وأحياناً سراً في المخيم فتقول «كانت معنوياتي جيدة جدا وكنت أعطي أكثر مما اعطيت وأنا في بيتي».

اكتشفت فاطمة فجأة انها مطلوبة من قبل سلطات الاحتلال وانهم يبحثون عنها في كل مكان، وكان ذلك في نهاية العام الماضي وبعد اعتقال ابنها محمد بأسابيع قليلة. وهي تقول: «وصلني خبر عبر الزيارات الى المعتقلين والخارجين منهم ان أحد الشبان من منطقة اخرى في الضفة الغربية ذكر اسمي في افادته خلال التحقيق معه». في تلك اللحظة علمت فاطمة انها اذا ارادت الاستمرار في عملها السياسي، فعليها ان تسارع الى الاختفاء عن الانظار، وكان هذا القرار يوم كانت في زيارة للمحامي الذي وكلته للدفاع عن ابنها. «عندما عدت الى بيتي علمت ان رجال الاستخبارات الاسرائيلية حضروا اثناء غيابي وبعد أن سألوا عني فتشوا البيت وغادروا متوعدين بأنهم سيلقون القبض عليّ».

منذ ذلك اليوم غادرت فاطمة منزلها ليلا تاركة ابنتها «تحرير» التي لم تتجاوز الرابعة عشرة لتعنى بوالدها العجوز واخوتها «ثائر» و«نضال» ولم تدخله طيلة الأشهر الخمسة ونصف الشهر التي سبقت اعتقالها الا خلسة.

وتقول فاطمة عن هذه الفترة «ان التشرد ليس صعباً ولكن الأصعب هو تشتيت أم عن أبنائها» وتتابع بصوت حزين: «في الشهرين الاولين كنت آتي الى بيتي في الليل خفية، واحيانا كنت أنام مع عائلتي واغادر قبل طلوع الفجر، ولكن بعد ان ازدادت المداهمات للبيت وبعد ان شعرت بأن جميع أفراد عائلتي مراقبون باستمرار لم آت الى البيت مرة واحدة، ومع ذلك لم افارق أولادي لحظة واحدة».

في بعض المرات كانت فاطمة تلتقي أحد ابنائها أو جميعهم في شوارع بيت لحم، احيانا عند أصدقاء لها واحيانا كثيرة في سوق الخضار أو محلات البقالة حيث كانت تشتري لهم ما يحتاجونه ويفترقون بعد تحديد لقاء آخر وهم يعلمون انه ربما لن يتم. «وعندما لا نستطيع أن نلتقي لأنهم لم ينجحوا في الافلات من مراقبيهم أو لأنني كنت في مكان لم استطع مغادرته الى الموعد المحدد، كنت اشتري لهم طعاما وارسله مع بعض الاشخاص أو امر بالبيت واتركه أمامه واختفي في ثوان».

ساعة الافطار

وتروي فاطمة حوادث عدة استطاعت فيها الصدف أن تنقذها من

الاعتقال «ففي احدى المرات عندما اصر أولادي في شهر رمضان أن أتناول الافطار معهم مرة واحدة لاننا لم نجلس سويا طيلة أربعة أشهر وافقت. انتظرت حتى مر موعد الافطار ولم يبق في الطرقات احد سوى القطط الجائعة فدخلت وبقيت نصف ساعة وغادرت فورا بعدها. وفي اليوم التالي وساعة الافطار بالضبط كان رجال الاستخبارات والجنود يفتشون البيت بحثاً عني».

برغم صعوبتها تقول فاطمة ان فترة التشرد هذه والتحرك خفية هي الفترة «التي يكتشف فيها المرء من من الناس يقدر على تقديم تضحيات ومن منهم يستطيع تفهم قضايا معقدة كهذه». وتقول عن بعض هؤلاء الناس «لو استطعت أن أقدم لهم نور عيني لفعلت بسبب موقف واحد تعرضت له وكانوا الى جانبي».

بالنسبة الى فاطمة لم يكن الاعتقال يشغل بالها كثيرا في تلك الفترة كما تقول. كانت قد استبدلت ثوبها الفلاحي المطرز لباس المسلمات المتدينات: جلبابا طويلا وغطاء ابيض لا يكشف سوى ما بين الجبين والرقبة، حتى أن اقرباءها الذين كانت تمر بهم في الشارع لم يعرفوها. وكانت قد قررت مسبقا انها ستكشف نفسها بعد أن يخرج أحمد من السجن وتزوجه «ولكن الصدفة شاءت أن يختلف توقيتي مع توقيتهم».

عنا اعتقلت فاطمة امام محكمة رام الله من قبل رجال الاستخ رات واقتيدت الى معتقل المسكوبية في القدس من أجل التحة ، معها كانت تعلم ما ينتظرها بعد خبرتها في الاعتقال عام ١٩٧٤ و١٩٨١. كانت لائحة الاتهام تبدأ بتوزيع بيانات مرورا بصناعة الاعلام الفلسطينية والزي العسكري للفرق الضاربة وتوزيع أموال مصدرها منظمة التحرير، وحتى اعطاء تعلميات بتنشيط المنطقة وتصعيد أعمال المقاومة فيها، والتي نفتها فاطمة كلها برغم التهديدات العديدة التي كانوا يطلقونها. ومع ذلك فقد حكم عليها بالسجن لمدة ثلاثة أشهر غيابيا من دون وجود محام للدفاع عنها.

وتقول فاطمة الآن بعد أن أصبحت طليقة مرة اخرى، وهي لا تعرف كم من الوقت ستبقى كذلك، انها فخورة بنفسها كما هي فخورة بابنتها «تحرير» التي لا تتردد في الاعلان أمام الصحافيين انها رشقت سيارة مستوطنين وجاء الجنود واعتقلوها مع والدها. وكذلك تقول فاطمة انها تفخر بالمعتقلات اللواتي كن معها في سجن تلموند وبعضهن لم يتجاوزن السادسة عشرة واخريات حكم عليهن بالسجن المؤبد.

وأخيراً، تقول فاطمة: «أفخر بانتفاضتنا التي لن تذهب هدراً دماء ثلاثة شهداء» هم اخوتها. ففاطمة الجعفري هي شقيقة علي الجعفري الذي استشهد في سجن نفحة عام ١٩٨٠ وهو يقضي السنة الثانية عشرة من سجنه وذلك بعض اضراب عم الطعام. وهي شقيقة محمد الجعفري الذي استشهد عام ١٩٧١ خلال عملية تسلل في غور الاردن وشقيقة ابراهيم الذي استشهد في «ايلول الاسود».

الحياة/١٧/١٠/١٩٨٩

آسفة يافلسطين لانني لم أنجب سوى ولد واحد

«المطلوب من كل امرأة فلسطينية ان تلد طفلا اضافياً: طفلا من أجل الانتفاضة!»

وتصرخ غيئولا كوهين: إنهم ينتجون الاطفال كي يأكلوا.. أطفالنا.

وعلى وجه السرعة يتجاوب معها الحاخام اسحق بيريتز، فالمرأة الفلسطينية هي عبارة عن «فبركة» صغيرة للارهاب، ثم يخرج بذلك الاقتراح المثير: اطردوا النساء الفلسطينيات من «يهودا» و«السامرة»، وهذا يكفي..

ذلك الاقتراح يوضع الان قيد التداول لدى أكثر من جهة يهودية، فمن المرأة يأتي الخطر، أولم تقل تلك المرأة في مخيم الدهيشة: «انني آسفة، آسفة لانه لم يستشهد لي سوى ولد واحد»، والسبب هو انه لم يكن لديها سوى ابن وحيد، ولهذا فهي تحض النساء الفلسطينيات على إنجاب أكبر عدد ممكن من الأولاد: «لا أتوقع أن تتم التسوية في وقت قريب، الانتفاضة قد تستمر عشر سنوات، مائة سنة، وسنخسر أولاداً كثيرين، لكننا لن نخسر كل أولادنا».

الباحث اليهودي ابراهام كوفير يقول انه كان لدى اليهود مفهوم آخر لمقاومة التاريخ، وربما للسيطرة على التاريخ، هو: المال.. فلم يكن مطلوباً من الشخص أن يلد ابناً بل ان يلد ثروة، الأولوية كانت للثروة، وقد يعود هذا لكون اليهود عاشوا في مجتمعات ذات كثافة ديموغرافية هائلة، كما انه قد يعود الى الرؤية العبقرية، خلافاً للعرب الذين راحوا يفكرون، تماماً، مثل تلك السمكة الحمقاء التي ظنت انها بانتاج كميات كبيرة من البيض تستطيع ان تضع يدها على.. البحر.

▪ ▪ ▪

لكن كوفير يستدرك ليقول ان العرب كانوا، وما زالوا، يكثرون من الاطفال للسيطرة على الصحراء التي هي أكثر وحشية، على مستوى التشكيل الطبيعي، من البحر، فثمة فراغات هائلة تحيط بالبدوي، ولا مجال أمامه لملء هذه الفرغات سوى.. الاطفال.

الاطفال لمقاومة كل ما هو بربري: الصحراء، العزلة، السراب والقبيلة الأخرى. وهذه الرؤية دخلت في التشكيل البيولوجي للعربي الذي لا يبغي إنتاج عائلة كبيرة بقدر ما يبغي إنتاج قبيلة صغيرة، حتى اذا ما لجأ الى الوسيلة الايديولوجية لتطويره حضوره في الكون، وكان ان امتد في كل الاتجاهات، لم يتمكن من أن يتجاوز الحس القبلي،

فكان ان القبيلة أكلت الامبراطورية.
والقبيلة نفسها تحاول، الان، أن تأكل اسرائيل!

كوفير لا يعتقد ان التاريخ تطور بشكل مبشر، فهو يلاحظ انه خلال الحروب الخمس التي نشبت بين العرب واسرائيل لم يسقط في صفوف العرب أكثر من ثلاثين ألف قتيل، وهو رقم مجهري لا يمكن أن يؤثر في ذلك الطوفان البشري الذي يزداد تأثيره حدة مع ازدياد التقدم النوعي، ملاحظاً ان القنبلة النووية تكاد تقف مكتوفة الأيدي أمام سلاح بدائي جداً هو الحجر.

أي أن التطور التقني الهائل لم يترك آثاره الكبيرة على التاريخ، والألمان لم يتمكنوا من أن يثبتوا العكس حين اعتمدوا فلسفة العمليات الصاعقة التي تلغي الركام البشري، فالروس «ساعدوا» الثلوج على إمتصاص الحرارة النازية، وبالطبع دون إغفال المدى الجغرافي الفضفاض، ومع ان كوفير لا يريد ، البتة، ان يجري مقارنة بين اسرائيل والمانيا، فهو يتساءل عما اذا كانت الدولة اليهودية، وبحكم الخلل الديمغرافي كما الخلل الجغرافي (ودون ذكر الخلل الفني)، ستعرف المصير نفسه الذي عرفه الرايخ الثالث!

لا مجال اذاً للرهان على التفوق النوعي، حتى لو كانت التكنولوجيا قد لامست أو تصورت انها لامست المطلق، وفي كل الأحوال، فان العرب يتطورون ثقافياً وتكنولوجياً، وقد استحدثت شعبة في جهاز الاستخبارات الاسرائيلية (الموساد) لمراقبة هذا التطور بشكل دقيق. واذ لا مجال قط للحد من التكاثر العربي، فان الطريقة الوحيدة لمواجهة هذا الوضع هي بعثرة القوة العربية والحيلولة دون تكوين أي تجمع الا اذا كان الهدف منه مقارعة تجمع عربي آخر.

واليهود يشعرون الآن انهم أمام «قنبلة انسانية» لا يمكن مواجهتها هي.. المرأة!

الصحافية الكندية روث ويليامز تقول ما يلي: «انها أم مختلفة، قلبها هو ذلك الحجر الذي يحمله ابنها ليرشق به الجنود الاسرائيليين، هو الحجر الوحيد الذي لا يمكن ان يكون ميتاً، وحين يسقط ابنها فان لغة هائلة تتشكل على شفتيها: هل هي تنتحب أم انها تزغرد؟».

ثم تقدم روث شهادات:

السيدة سارة من الخليل: «ربما كان لدينا نحن حزننا الاخر، حزننا الموقت أو حزننا البعيد، فحين يولد لنا طفل هنا نشعر كما او اننا استعدنا جزءاً من الهواء، وحين يموت لنا أحد نشعر كما لو اننا استعدنا جزءاً من الأرض، هذه حقيقة جدلية، فالجثة تصبح جزءاً من الارض، وبعبارة اخرى فان الميت يتحول الى وثيقة تاريخية داخل الجغرافيا».

«كان ابني يخطط ليتخصص في التاريخ مثلي، وكان يقول لي انه عندما يحصل على الدكتوراه نؤسس معاً معهداً للدراسات التاريخية، ثم قال انه من الأفضل ان يدرس علم الآثار كي يحفر في الأرض ويستخرج من التراب الوثائق التي تؤكد ان فلسطين لنا، وكان يتمنى ان يسافر الى أكسفورد، هذا الاسم كان يعجبه كثيراً، ويبدو أن الزمن الفلسطيني، كما الحزن الفلسطيني، مختلف عن أي زمن آخر، فهل تعلمين ماذا حصل؟ لقد وضع أبني أطروحة الدكتوراه خلال لحظة: مد يده الى حجر في أرض فلسطين. هذا الحجر هو الوثيقة، أجل انه الوثيقة، لو لم تكن هذه الأرض لنا لما أطلق عليها الاسرائيليون النار، انهم يستعملون كل هذه الهمجية لالغاء الحقيقة بالغاء الفلسطينيين، ثم يكتشفون ان الحقيقة كتبت دائماً، وعبر التاريخ، بالدم، هذا الدم الذي يتساقط الآن هو الحقيقة، وهو الحجر».

السيدة فاطمة من جباليا: «كل هؤلاء الناس هم فلسطين، التراب هو نحن، واليهود يقتلون اطفالنا لاعتقادهم انهم يقتلون فلسطين، لقد سقط أبني وهو في الثانية عشرة يداه كانتا لا تزالان صغيرتين، كأنهما يدا وردة، كأنهما نقطتا مطر، الرصاصة حطمت القلب، هكذا قال تقرير المستشفى، شعرت ان قلبي هو الذي تحطم، لم يعد هناك شيء في قابل للحياة، لكن الناس ساروا بالآلاف في الجنازة وهم يهللون، كانوا يرفعون أعلام فلسطين، الجنازة تحولت الى مهرجان، كان إبني بينهم، والقبر تحول الى مزار، كل سكان المخيم يزورون القبر، هو لم يعد ابني، انه ابن كل الفلسطينيين، ان وضعنا المعيشي سيىء، لكنني لن أتوقف عن الانجاب، سأظل أنجب حتى يكون هناك فلسطينيون اكثر وحتى تكون هناك حجارة اكثر».

السيدة بشرى من غزة: «اكبر اولادي استشهد واصغر اولادي استشهد أيضاً، لست حزينة، وأكون شديدة الواقعية حين أقول لك ان يدي امتلأتا بالحجارة، أشعر بأنني أبني الأول وابني الاخير، لم تعد هناك حدود لقوتي، ونحن لا نبكي كما يبكي الاخرون موتاهم، اذا استشهد ابني الثالث فسيتجسد في. زوجي مات منذ مدة بعيدة ولم يعد بامكاني أن أنجب الأولاد، لكن ابنتي انجبت ستة، وأمل ان تنجب عشرة، عشرين، أجل، يجب على منظمة التحرير ان تصدر قراراً إلزامياً يحض على الانجاب، حاخامات اليهود فعلوا ذلك فلماذا لا نفعل نحن، حربنا ليست قصيرة أبداً، لا أصدق أولئك الذين يقولون ان التسوية قريبة، أتوقع حرباً تدوم خمسة وعشرين عاماً، ولسوف يسقط الكثيرون من الذين نحبهم، لكننا نملك ما يكفي من الغضب كي نحتوي أحزاننا بسهولة».

■ ■ ■

السيدة رندة من غزة أيضاً: «ابني البكر في الخامسة عشرة من العمر، وهو يشارك في كل التظاهرات التي تحصل، يخفي وجهه بالكوفية فلا تظهر سوى عينيه، انه يقلد الكبار، وأبوه يتمنى ان يظل ابننا على

قيد الحياة كي يتزوج وينجب أولاداً، أنا لم أفكر بهذا حتى الآن، أشعر بأنني أم اسطورية وهو يخرج من الباب، عاصفة صغيرة تخرج من الباب، يقبلني ويقول لي «فلسطين ستبقى»، اذاً هو سيبقى، أتجاوز خوفي بسرعة وانتظره، اذا جاءني على قدميه أحس بالارتياح الشديد، واذا استشهد فانني احفظ عن ظهر قلب معظم الزغاريد الفلسطينية، هنا تنار بيوت الشهداء بالمصابيح، بعض الدور زينت بالورق الملون، هذه هي غزة، بيت الشهيد ليس كأي بيت آخر، لكننا ننحني عندما نمر من أمام هذا البيت، ننحني قليلا ثم نرفع رؤوسنا».

«الاسرائيليون يقتلوننا ويقتلوننا، وماذا بعد؟ هم الذين يطرحون هذا السؤال ولا يعرفون كيف يجيبون، جثثنا لم تعد تلاحقهم وحسب، بل انها اصبحت مرسومة على وجوههم، انهم يعيشون في جحيم حقيقي، لا شك انك شاهدت الجنود، انهم لا يشبهون الكائنات البشرية أبداً، ان ذلك الشيء الذي كانوا يتباهون به في السابق قد سقط الان.. أحد نوابهم قال هذا: اليهودي لم يعد يهودياً».

السيدة حنان من جنين: «هناك علاج بسيط جداً للخوف: ان أسير مع أولادي في التظاهرات. نندفع جميعاً، فاذا سقط أحدهم برصاص الاسرائيليين لا يكون هناك من مجال للحزن، الغضب يمحو كل الاحاسيس الصغيرة، مع ان الحزن الفلسطيني يشبه البركان، وهناك قناعة الان بأن الفلسطينيين لا يموتون، الكثيرون يؤكدون انهم رأوا بعيونهم، الشهداء وهم يشاركونهم في رشق الاسرائيليين بالحجارة، لقد حصل هذا معي، رأيت أحد الشهداء، كان يهتف لفلسطين ويقذفهم بالحجارة، أخبرت أهله فقالوا لي انني لست الوحيدة التي شاهدته هكذا، انه شيء لا يصدق، لكنه شيء حقيقي».

قناعتي ان الذي يجابه الموت لا يموت، والذي يموت لا يموت، كلنا لا نموت لسبب بسيط هو ان فلسطين لا تموت، وكيف تموت الارض؟».

السيدة علياء من نابلس: «في حرب عام ١٩٦٧ قتل زوجي، وأحد أولادي قتل في السجن، وها ان حفيدي، بدوره، يصعد الى عند الباري عز وجل، أنا مؤمنة، أيضاً وهذه الظلمة الكبيرة لن تستمر طويلا، فالنور يظهر في الأفق، أشعر الآن بهذا، وما من مرة خدعني هذا الشعور، فالدولة الفلسطينية تقترب، ولن يكون هناك اسرائيلي بيننا».

«أنا الآن في الستين من العمر، وكنت أتمنى لو أستطيع أن أشارك في التظاهرات لكنني أعاني من التهاب مزمن في الأعصاب، أصلي للجميع كي ينتصروا على اليهود الذين أمل ان يعودوا الى الله بعد ما تخلوا عن كتاب الله، لقد زوروا التوراة واتبعوا شريعة القتل، فليقتلوا وليقتلوا، وها انك تلاحظين ارتباكهم، فالجثث تسد عليهم المنافذ، القتل أصبح مشكلة بالنسبة اليهم، هل تعلمين ماذا قالت لي حفيدتي ابنة الاربع سنوات: ماما اشتري لي حجراً، هذه الطفلة الفلسطينية لم تقل لأمها انها تريد قطعة من الشوكولا، الحجر أصبح قطعة الشوكولا، ونحن عندنا الكثير من الاطفال وعندنا الكثير من الحجارة والله معنا ومع حجارتنا».

▪ ▪ ▪

شهادات، فماذا يقول اليهود؟

يهوشوا ساغي الذي كان رئيساً لقسم الاستخبارات العسكرية خلال مجازر صبرا وشاتيلا يشعر بالاحباط العميق، فيطلق ذلك الاقتراح الساخر: يجب ان نطلب من علمائنا إكتشاف ذلك اللقاح الذي ما ان نحقن به الفلسطيني (أو الفلسطينية) حتى يصاب بالعقم، فالمشكلة ليست في فلسطينيي الحاضر الذين ما زالوا يستعملون الحجارة، المشكلة في فلسطينيي المستقبل «الذين يجب ألا يولدوا».

هكذا تتم الابادة (في الزمن) وبالطرق الحضارية، فثمة دول مثل الصين والهند ومصر تقوم بتنفيذ البرامج الخاصة بالحد من التكاثر فقط من أجل الأمن الغذائي «...فلماذا لا نحد من التكاثر من أجل الأمن الاستراتيجي»، وهو الاكثر حساسية بكثير، وهذا الكلام «يجب» ان يكون منطقياً، فالفلسطينيون لا يتكاثرون بشكل طبيعي وبـ «نوايا طيبة»، بل من أجل أن يزداد حملة الحجارة. هذا من الناحية التقنية، أما من الناحية البنيوية، فالهدف هو التجذر الأفقي في الأرض ما دام التجذر العمودي غير متوافر (!!)لأن «التاريخ اليهودي هو وحده الذي يوجد هنا ولا مجال لأي تاريخ آخر، فحتى آثار الاقدام هي آثار أقدامنا»، كما يقول أحد أركان المفدال.

والمرأة الفلسطينية هي القنبلة العنقودية، وكما يقولون: القنبلة الانشطارية، فالكائن الوحيد ينشطر الى مجموعة من الكائنات العدوانية التي تستعمل الحجارة ضد اليهود، وبطبيعة الحال، فالجهود يجب ان تتركز على تعطيل هذه القنبلة بالطرق المناسبة: اطردوا النساء الفلسطينيات من «يهودا» و «السامرة».

وفي اللحظة التي تنتهي فيها المرأة ينتهي فيها.. التاريخ، ولكن ألا تقول السيدة دلال نصر (أونصار) لروث ويليامز: «المرأة هنا تشبه الشجرة، فاذا حاول أحد اقتلاعها أصبحت تشبه.. الأرض».

ومن تراه يستطيع أن يقتلع الأرض.

اليهود يحاولون ذلك: «أطلبوا من الجنود القبض على أي امرأة فلسطينية يصادفونها، ثم بادروا الى ترحيلها بعد ما أثبتت بما لا يقبل الشك انها فبركة للارهاب».

والجنود يحاولون الآن القبض على.. الأرض!!

القبس الدولي
١٩٨٩/١٠/٢٨

النداء

من خلف متراسٍ الى عينيك ننهض فالسمابلورة
تتكشف الاسرار فيها،
وجوادنا الناري ينهض من وحول مسافة بين المخيم
والضريح
وتشده شمس فيطلق صدره، اذنت رياح الحق فانتفض
الصفيح
وتلعثمت لغة الغزاة
هنا المخيم والقرى
وهنا البلاد فريسة ظنوا ستبقى للذئاب
لفظت مسامير الصليب اذ ادلهم الليل في جنباتها،
وتمردت حين اشرأبت قبضة من عمق أعماق العذاب
أذنت رياح الحق فانتفضت حجارتها
وهيأنا لثورتها المقالع والشباب
وتوحدت هي والدم المسفوك
سبحان الذي وهب التراب نجيعه
ليصير بركاناً وغاب
سبحان من زرع الزلازل في الصخور ومن تعهد صبره
شجر الغضب
سبحان من أعطى ولم يسأل
ومن قمم العواصف اطلقت يمناه قاطرة اللهب
هي ذي تجوب الأرض، سبحان الذي
اسرى بطفل يافعٍ من حضن والدةٍ
الى الأفق المدجج بالحراب
في كفه علم وفي أعصابه يجري النشيد
فهو الحنين هو الوريد
والباب والمفتاح والفجر الجديد
هو جمرة الأجيال ما انطفأت ومن
حطين يورثها الشهيد الى الشهيد
الان تنطقه الضحية سرها حجرا
على خوذاتهم وعروشهم
يتقافزون كما القرود
الان تعلن سرها الأرض التي صمتت طويلا
وتنحطم القيود.

• • •

هي ساعة ما بين قبو الموت والفجر الأكيد
بين الزنازين التي امتلأت وبستانٍ
رسمنا بالدم الغالي مداه
ما بين كرباج المحقق وهو ينطح صخرة
وسرور طفل باسم نحو الاله
هي ساعة ما بين صرخة حاملٍ سقطت بأعقاب البنادق
بين إنفجار رصاصة
وصعود نجم قمة اخرى لتفتل الخليقة في ضياه
هي ساعة سنسيرها نحن الحفاه
سرقت زوابعهم ملابسنا ومزقت الجباه
ومصائد في كل ركن والكلاب تنوشنا
وثعالب مسحت فراء رؤوسها بجراحنا
نمشي على جمر تسلح بالمسامير الطويلة والقصيرة
أو رطبت زرق الشفاه

• • •

كسروا عظامك يارفيقي
أي روحٍ في الجسد
سجدت لعزتها الجباه ولم يحطمها أحد
هي قلعة مترستها
هي شعلة أوقدتها
ستظل جذوتها تضيء الى الأبد.

خليل توما
من مجموعة «المقلاع» - إتحاد
الكتاب والصحافيين الفلسطينيين في الضفة والقطاع

الصندوق الاسلامي لفلسطين



ISLAMIC FUND FOR PALESTINE

بسم الله الرحمن الرحيم

[يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون] صدق الله العظيم.

تقترب إنتفاضة شعبنا الفلسطيني المسلم من نهاية عامها الثاني وفي خضم أشهر الجهاد والمواجهة الطويلة عانى الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل -وما يزال- معاناة اقتصادية لا توصف، سواء على مستوى نقص فرص العمل وضعف حركة السوق أو نتيجة لسقوط عدد كبير من الشهداء، وتعرض الآلاف للاعتقال والسجن. وان كانت الامة الاسلامية غير قادرة بعد على حشد ملايينها لنصرة فلسطين وبيت المقدس فهي مطالبة ببذل ما تستطيع من مال وجهد خارج فلسطين لدعم جهاد الشعب الفلسطيني ونصرة قضية الاسلام في مواجهة العدو الصهيوني ومن يقفون خلفه.

● وقد تداعت فئة من ابناء الاسلام في فلسطين والمنطقة العربية لتأسيس الصندوق الاسلامي لفلسطين آملين ان تتحرك جماهير الامة الاسلامية في كل مكان كل بما يستطيعه لاداء واجب النصرة والعون لمسلمي فلسطين.

● وستحرص اللجنة المشرفة على الصندوق ما استطاعت وما اعانها الله عز وجل على ان تصل المساعدات المرسلة عن طريقه الى أيدٍ أمينة في فلسطين المحتلة، وأن توزع على المستحقين بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية، مقدمين مبدأ الحاجة على كل مسألة أخرى، آملين أن يستطيع الصندوق تأسيس مراكز معروفة له في دول الطوق، التي يسهل الوصول لها من فلسطين المحتلة، ان سمحت السلطات العربية بذلك.

● هذا وستشمل مصارف الصندوق في المرحلة الاولى :

١ - أسر الشهداء والاسرى
٢ - رعاية الجرحى وأهلهم.
٣ - الأسر بدون عائل
٤ - الأسر ذات الضائقة والحاجة الاقتصادية الملحة.
٥ - الطلاب الدارسين داخل الارض المحتلة، ذوي الحاجة للمساعدة والمضطرين للدراسة في غير مدن اقامة ذويهم.

● وفي مرحلة قادمة، ان توفرت الموارد الكافية، يأمل الصندوق أن يمد نطاق عمله لمساعدة المؤسسات الاسلامية والمساجد، والمؤسسات الطبية والاجتماعية والتعليمية، والمشاريع الاقتصادية التي تدعم صمود شعبنا واستمراره في بلاده، والطلاب الدارسين في الخارج من أبناء الوطن المحتل الذين انقطعت مواردهم وينوون العودة للعمل في الضفة القطاع.

● هذا وسيقوم الصندوق بنشر مجموع موارده والمجالات التي صرفت فيها في فترات زمنية مناسبة.

● ان المسلمين في كل مكان مدعوون لارسال حوالاتهم المصرفية الى :

أولاً :

I.F.P.
Account Number C4 - 929 330 N.E.
SWISS BANK CORPORATION
Succursale de Cornavin
Place de Cornavin 10
SWITZERLAND

ثانياً أو الى :

I.F.P.
Account Number 1469 501 8642
First Union National Bank
Jacksonville - Florida
U.S.A.

ثالثا : وعلى الراغبين في ارسال صكوك مصرفية (شيكات) أن يسجلوها لأمر I.F.P. على أن ترسل على العنوان البريدي التالي :

ICP
P.O. BOX 82009
Tampa - Florida 33682 - 2009
USA

هذا وستعلن في القريب العاجل عدة أرقام حساب وعناوين أخرى للصندوق في المنطقة العربية.

سرايا الجهاد الاسلامي تنفذ هجوماً باسلا ضد العدو

نفذت سرية من سرايا الجهاد الاسلامي في فلسطين هجوماً صاعقاً على دورية محمولة لجنود العدو الصهيوني كانت تمر في طريق جانبي من منطقة الشيخ عجلين على شاطيء مدينة غزة الباسلة مساء الثلاثاء ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني). وقد تأكدت مسؤولية سجا عن العملية بعد اضطراب قصير في تبني العملية إثر إعلان حركة المقاومة الاسلامية «حماس» مسؤوليتها عنها، ثم، نفيها لذلك، ثم تجاهلها للنفي.. الخ.

وكانت السرية التي أعلن العدو إعتقاده انها مشكلة من ثلاثة أفراد قد كمنت لسيارة جيب لجيش العدو في السادسة من مساء اليوم المذكور وأمطرتها بالأسلحة الرشاشة. وطبقاً لاعترافات العدو، سقط أحد أفراد الدورية قتيلاً على الفور، وجرح آخر. وبمرور سيارة اخرى للعدو في المنطقة، التي لا يبعد كثيراً عن مستعمرة نتساريم على شاطيء غزة، وإكتشافها لما حدث، نقل أفراد الدورية بين جريح وقتيل إلى مستشفى قريب حيث تأكد مقتل جندي آخر.

ورغم إعلان العدو عن إعتقاله للعشرات من الاسلاميين من أبناء منطقة الشيخ عجلين إلا أنه لم يدع حتى الآن القبض على أفراد السرية المجاهدة الذين انسحبوا بسلام من منطقة الهجوم.

وكما تعودت في الفترة الأخيرة، ذكرت بعض الصحف العبرية والعربية داخل وخارج الوطن المحتل، أن سرايا الجهاد الاسلامي هي مظلة لأحد أجنحة حركة فتح، ولكن المؤكد أن السرايا التي هي إطار لمجموعات عسكرية إسلامية وليست تنظيماً بعينه، لا تربطها بمنظمة التحرير ـ أو فتح ـ أو أي من تياراتها أي رابطة من قريب أو بعيد.

جاءت هذه العملية الباسلة في منعطف حرج لنضال شعبنا المجاهد ضد الغزو الصهيوني، حيث يحاول قادة المشروع الوطني الفلسطيني دفع عجلة التسوية بتقديم المزيد من التنازلات للعدو المجرم وللولايات المتحدة، لا تشمل التراجع عن حقوق شعبنا التاريخية والعقائدية في وطنه فقط، بل والتنكر لحقه في ممارسة كل الوسائل النضالية، بما في ذلك العمل المسلح، للمطالبة بهذا الحق. وقد جاء هذا الهجوم بالتالي في سياق رد سياق على مسيرة التسوية، وفي إطار تصميمه على تصعيد الصراع على الطريق الانتفاضة ـ الثورة ضد العدو المجرم حتى النهاية.

الشهيد المجاهد د. عبد الله عزام..

والنشرة تحت الطبع وصلنا خبر إستشهاد المجاهد المؤمن القائد د. عبد الله عزام في مدينة بيشاور على الحدود الأفغانية. و«الاسلام وفلسطين» إذ تعزي وتبارك للأمة الاسلامية وللشعبين الفلسطيني والأفغاني استشهاد المجاهد الفذ، الذي لم يكن خياره يوماً إلا الشهادة، تعد بأن ترجع بتغطية أوسع لهذا الحدث المفجع في العدد القادم.

• الاسلام وفلسطين *Islam and Palestine*

• نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

• تصدر عن: دار الجذور للطباعة والنشر

• ترسل الاشتراكات والصكوك باسم: The Roots

• الاشتراك السنوي ١٢ جنيهاً استرلينياً أو ٢٠ دولاراً أميركياً

• المراسلات والاشتراكات على العنوان التالي:

The Roots P.O. Box 4375
Nicosia *CYPRUS*

وجميع المراسلات والاشتراكات في الأميركيتين على العنوان التالي:

ICP
P.O. BOX 82009
Tampa - Florida 33682 - 2009
USA

IMP. CEDI. Firminy